

إصدارات منصة أريد

أريد ARID



# الهجرة العلمية دروس وعبر

قسم النشر الإلكتروني في منصة أريد

# كتاب الهجرة العلمية دروس وعبر

قسم النشر العلمي الإلكتروني بمنصة أريد

التدقيق اللغوي : دكتور/ موسى نجادى

دكتورة / أميرة سميس

جميع حقوق الطبع محفوظة ©

1443 هـ - 2021 م

الطبعة الأولى

اسم الكتاب: الهجرة العلمية دروس وعبر

(قسم النشر الالكتروني في منصة أريد)

الطبعة الأولى : 1443 هـ - 2021 م

مقاس الكتاب : 6" \* 9"

عدد الصفحات : 153

حقوق النشر : منصة أريد



ISBN 978-1-387-40093-5

ماليزيا - كوالالمبور

arid.my | info@arid.my



- 1..... كتاب الهجرة العلمية دروس وعبر.
- 6..... مقدمة
- 7..... كلمة رئيس اللجنة الاستشارية العليا بمنصة أريد
- " الرصد المعرفي و الرقمي لعلوم و علماء دار الحكمة " (من منتصف ق2ه إلى سقوط  
بغداد منتصف ق 07ه) ..... 14
- 14..... مقدمة:
- 14..... هدف الدراسة:
- 16..... أهمية الدراسة:
- 32..... الخاتمة:
- 33..... قائمة بالمصادر و المراجع:
- 36..... الهجرة و الإدارة العلمية للأزمات "

36 ..... المقدمة

51 ..... الخاتمة

53 ..... أهم التوصيات:

54 ..... طالب العلم دروس وعبر من السيرة النبوية

54 ..... المقدمة:

71 ..... الخاتمة:

72 ..... قائمة المصادر والمراجع:

74 ..... الهجرة العلمية بين المصالح والمفاسد.

74 ..... مقدمة

75 ..... أهداف الدراسة:

75 ..... أهمية الدراسة:

92 ..... قائمة المراجع:

94	هجرات شخصيات بارزة سعيًا في طلب العلم
94	مقدمة
97	أهمية الهجرة في طلب العلم
112	خاتمة
113	التوصيات
114	المراجع
116	هجرة الكفاءات والتنمية المستدامة التحديات وفرص الابتكار
116	الملخص:
117	مقدمة:
154	الهوامش:

## مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

تضمن هذا الكتاب مجموعةً من البحوث المتميزة حول موضوع الهجرة العلمية دروس وعبر كالتالي:

- كلمة رئيس اللجنة الاستشارية العليا بمنصة أريد.أ.د سلوان كمال جميل العاني
- الرصد المعرفي و الرقمي لعلوم دار الحكمة و علمائها (من منتصف ق2هـ إلى سقوط بغداد منتصف ق 07هـ) .د. عناق جمال
- الهجرة والإدارة العلمية للأزمات .د. طه أحمد الزيدي
- طالب العلم دروس وعبر من السيرة النبوية أ. فرج مراجع فرج بن موسى
- الهجرة العلمية بين المصالح والمفاسد الأستاذة: خضرة حديدان.
- هجرات شخصيات بارزة سعيًا في طلب العلم، أ. حفيضة العمريني
- هجرة الكفاءات والتنمية المستدامة، التحديات وفرص الابتكار، د. فاطمة زهرة

بن قايذ

قسم النشر العلمي الإلكتروني بمنصة أريد

## كلمة رئيس اللجنة الاستشارية العليا بمنصة أريد

أ.د سلوان كمال جميل العاني

السلام عليكم ورحمة الله

اختلفت أسباب الهجرات وغاياتها على مدى التاريخ، ونوع المجتمعات، والدول، وتعدّ الهجرة نهجاً مُتبعاً للأنبياء والرسل -عليهم السلام- في سبيل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وحمايتها من كيد الظالمين وبطشهم، وكانت هجرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، قبل 1442 سنة، خير هجرة عرفتها البشرية منذ بدء الخلق، بدوافع الخلاص من الظلم والاضطهاد، وأذى المشركين وتعذيبهم للصحابة -رضي الله عنهم- وكسر الحصار الاقتصادي والاجتماعي الذي فرضته قبيلة قريش على المسلمين في مكة.

لقد كانت هجرة المسلمين تنويراً للعقول بدلا من تغييبها، وقراراً بوحداية الخالق المطلقة للكون، وتحولاً من الباطل إلى الحق، ومن الكسل إلى العمل، ومن الفرقة والكرامية إلى الوحدة والسلام والامان، ومن الظلم إلى العدل، ومن الظلام إلى النور، وقد أدت إلى قيام دولة الاسلام في المدينة، على أسس الحق، والعدل، والحرية، والمساواة، والوحدة والمحبة والتكافل والتآخي وضمن الحقوق، وبناء جسور للانطلاق إلى العالم؛ لتحقيق عالمية الإسلام.

إن مقياس إدارة الموارد البشرية، وإدارة الاقتصاد، يعتمد على استثمار العقول، فإذا سيطر في دولة ما أصحاب العقليات المحدودة والفاقدون والمنافقون، وتبوأوا المناصب بالدولة؛ أغلقت السبل أمام أصحاب الكفاءات والأدمغة، والدرجات العالية في التعليم والمهارات، مما يضطرهم للهجرة . وأشارت دراسة بجامعة الدول العربية خلال السنوات الأخيرة إلى أن مجموع الكفاءات العلمية العربية في الخارج يصل الى ( 1091282 ) كفاءة علمية .

وتعود هجرة العقول في العصر الحديث لأسباب اقتصادية وإدارية، وعدم وجود ملاذ آمن يحمي هذه الكفاءات من العنف، واستهداف حرية الإبداع، أو بسبب حالات الفوضى الأمنية، وعدم توافق السياسات التعليمية مع احتياجات التنمية، وضعف عمليات البحث العلمي، وقلة الإمكانيات المتاحة له، والتشريعات التي يعترتها الخلل، وتعقيد الإجراءات في الأجهزة الإدارية، والفساد المالي والإداري، وتهميش العلماء في بعض الدول، وعدم توفير البيئة المناسبة لهم، وعدم الثقة في أفكارهم الجديدة، ومعاناتهم من عدم وجود تخصصات ومواقع تفي بمؤهلاتهم العلمية.

وهناك أسباب أخرى جاذبة لهجرة العقول منها التقدم الاقتصادي، والمستوى المعيشي المرتفع في الدول التي تتم الهجرة إليها، وتوفر الوسائل اللازمة للبحث العلمي والتطوير، إضافة إلى توفير الفرص للمتخصصين، وتوفر الاستقرار السياسي، والنفسي، والأمني،

والديمقراطيّ، وتشجيع السياسات والقوانين في الدُّول المتقدّمة وتحفيزها المتخصّصين وذوي الكفاءات بهدف جذبهم إليها، وتزايد نسبة الطلب على العمالة المتخصّصة في سوق العمل.

ولهجرة الكفاءات والأدمغة آثار سلبية تنعكس على شتى مجالات الحياة، ومن أبرزها: اتساع الفجوة بين الدُّول المتقدّمة الجاذبة، والدُّول الأصليّة، وتبعيّة الأدمغة والكفاءات ثقافيّاً للدُّول التي هاجروا إليها، وزيادة الإنفاق؛ وذلك عبر توظيف كفاءات من الدُّول الأخرى لسدّ النقص، ممّا يجعل الخسائر الماديّة التي تمّ إنفاقها على تعليم الكفاءات المهاجرة، خسارة هائلة، وضعف إجراء البحوث العلميّة، ممّا يعني تبعيّة الدُّول الفاقدة للكفاءات، للدُّول الجاذبة لها.

وتعدُّ هجرة العقول العربيّة خسارة في مجال التعليم في جميع مراحلها، إذ يبلغ معدل الأمية في الوطن العربيّ حالياً نحو 49٪، ويشكل هذا الرقم أحد المعوقات الرئيسيّة أمام التنمية العربيّة في عصر تمثل فيه الكفاءات العلميّة والتقنيّة والمعرفة، المصدر الرئيسيّ للتفوق والتنافس بين الأمم.

وتشير الإحصاءات إلى أن ثلاث دول غربية غنية، هي: الولايات المتحدة، وكندا، وبريطانيا تحصل على 75% من المهاجرين العرب، بل أكثر من ذلك ، وقد قامت بعض الدول الغربية بمنح جنسياتها للعقول العربية المهاجرة كي تنسب إبداعاتها لها بالكامل.

وبحسب الدراسات فإن الوطن العربي يساهم بـ 31% من الكفاءات والعقول المهاجرة من الدول النامية، كما أن 50% من الأطباء و23% من المهندسين و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى أوروبا والولايات المتحدة وكندا.

وأشارت إحصائيات أخرى إلى أن إجمالي الإنفاق على العلماء في الغرب يعادل ضعف إنتاج النفط العربي سنوياً، وأن 12% فقط من بلدان العالم تستحوذ على 95% من العلماء.

وقدر أحد تقارير منظمة العمل العربية أن الخسائر التي تتكبدها الدول العربية سنوياً لا تقل عن 200 مليار دولار بسبب هجرة العقول إلى الخارج، وتقترن هذه الأرقام بخسائر كبيرة نجمت عن تأهيل هذه العقول ودفع كلفة تعليمها داخل أوطانها، مما يؤكد أن الدول العربية، ومعها سائر الدول النامية تقدم مساعدات إلى البلدان المتقدمة عبر تأهيلها لهذه الكفاءات ثم تصديرها إلى تلك البلدان المتقدمة لتفيد من خبراتها العلمية.

ومما يلفت النظر، ان عددًا كبيراً من المهاجرين العرب في الدول الغربية يعملون في التخصصات العلمية والتكنولوجية الاستراتيجية، كما تشجع الكثير من الدول الغربية المتقدمة العقول والأدمغة العربية النابغة المهاجرة على البقاء لديها .

وظهرت في العصر الحديث الهجرة القسرية للعلماء والأكاديميين والمهندسين والاطباء، وهذا ما تعرضت له الكفاءات العلمية في العراق من هجرة 7350 عالمٍ في مختلف المجالات في الفترة الواقعة بين 1991-1998، إلى دول عربية وأجنبية؛ نتيجة الحصار الدولي الذي كان مفروضاً على العراق آنذاك، منهم 67% من أساتذة الجامعات، و23% ممن يعملون في مراكز أبحاث علمية.

وكانت الخطوة الأشد خطورة هو القرار 1441 لمجلس الأمن الدولي في 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 2002، والتي نصت احدى فقراته على : "تتمتع لجنة الامم المتحدة للرصد والتحقق والتفتيش والوكالة الدولية للطاقة الذرية بالحق في ان يزودها العراق باسماء جميع الاشخاص الذي لهم علاقة حالياً وسابقاً ببرامج العراق الكيميائية والبيولوجية والنوية".

مما يعني ان حياة العلماء العراقيين قدمت على طبق من ذهب لجهات خارجية بعد أن أصبحت على أتم دراية بإسمائهم وعناوينهم وكيفية الوصول إليهم خاصة مع قرب حرب

احتلال العراق والتي جرت بعد شهرين فقط من صدور هذا القرار، مما يسر عملية تصفية العلماء بشتى الوسائل.

ونتيجة لذلك؛ تعرّض -في الفترة الواقعة ما بين ابريل 2003م وحتى وقت قريب- عدد كبير من أعضاء هيئة التدريس في شتى الاختصاصات (طب، هندسة، تربية، علوم، كيمياء، وعلوم إنسانية) إلى الخطف والقتل، في حين اضطر الآلاف منهم الى الهجرة تحت التهديد إلى دول العالم المختلفة حفاظاً على حياتهم، وهو ما أثر بالسوء على حركة الحياة العلمية في العراق وأوقف عجلة التقدم فيها. حيث أشار تقرير شبكة رصد حقوق الإنسان في العراق الذي نشر في 2005 إلى أن عدد الذين قضوا برصاص الاغتيال في العراق حتى نهاية أذار 2004؛ بلغ أكثر من (1000) عالم عراقي.

ويتضح أن هذا المخطط، موجه ضد العراق بالدرجة الأولى حيث أن مؤسسات التعليم العالي قد حُرقت أو نهبت أو دمرت، لأهداف ودوافع عدة: منها إفراغ البلد من باحثيه وأكاديميه وعلمائه وتدمير هويته الثقافية والعلمية، ووقف عجلة التطور فيه، وإعادة عشرات السنين إلى الوراء.

والعراق من أكثر الدول تضرراً جراء هجرة كفاءاته العلمية، فهو من البلدان النامية، وبتعداد سكاني عال، ويحتاج إلى الكثير من الخبرات والكفاءات العلمية من أجل النهوض بواقعه المتردي، وخسر حصاد أربعين عاماً من العمل والتخطيط، وإرسال بعثات دراسية إلى الخارج من أجل النهوض بالواقع العلمي والصحي فيه.

إن مسألة عدم احترام العلم والعلماء والاستخفاف بهم، وعدم توفر بيئة مناسبة للبحث العلمي والإبداع، إضافة إلى ضعف الإنفاق على البحث العلمي، وعدم توافر فرص العمل المتاحة لتخصصات نوعية، كل ذلك يؤدي إلى استمرار نزيف الهجرة.

وربما يكون أحد الحلول لإيقاف نزوح الأدمغة العربية؛ هي دعوة أحد الخبراء العرب لجامعة الدول العربية، إلى وضع استراتيجية عربية للتعامل مع ظاهرة هجرة الأدمغة العربية، واعتبارها قضية أمن قومي عربي، بعدما غدت المجتمعات العربية بيئات طاردة للكفاءات والأدمغة العلمية العربية، لا حاضنة لها.

## " الرصد المعرفي و الرقمي لعلوم وعلماء دار الحكمة " (من منتصف ق2ه إلى سقوط بغداد منتصف ق ٥07)

د. عناق جمال

أستاذ محاضر-أ- (مشارك)

كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية

-جامعة العربي التبسي - تبسة- الجزائر

### مقدمة:

ستتناول هذه الورقة دراسة أحد أهم ركائز النهضة العربية والإسلامية في القرون الوسطى وهي "دار الحكمة" كمجال ثقافي وعلمي شهد أبرز التطورات، والمنجزات لأهم النخب العلمية طوال قرون. ولا يختلف اثنان حول الدور الذي خلفه العصر العباسي في تفتق أهم الابتكارات العلمية والتقنية، التي فتحت طريقا سويا لمستقبل البشرية.

### هدف الدراسة:

إن غاية هذا البحث ليس فقط إبراز وتوضيح أهمية دار الحكمة البغدادية فقط، لكن الغاية والهدف منه هي تتبع تطور مختلف العلوم، وإبراز منجزات العلماء المسلمين، من خلال

الإطار الأكاديمي الذي جمعهم، وهو دار الحكمة، وإمكانية تجديد هذا المشروع العلمي والحضاري، في تجمع جديد كمنصة أريد مثلاً.

فرضيات البحث:

من أجل تحقيق هدف الدراسة وضعنا عدة فرضيات وهي:

1- تأسيس بيت الحكمة ودارها، يعد نقلة نوعية وكمية للعلوم والعلماء، كظاهرة علمية عرفتها النهضة العربية والإسلامية.

2- يعود الفضل في ازدهار المعارف، وكثرة طلاب العلم والعلماء، إلى تأسيس دار الحكمة.

3- اللغة العربية ذات نزعة علمية، وهي إحدى عوامل ازدهار الحضارة العربية والإسلامية ماضياً وحاضراً ومستقبلاً.

4- إمكانية تجديد هذا المشروع في تجمع يحدو حدو دار الحكمة، ويكون إطاراً فاعلاً في نهضة الأمة العربية.

**منهجية البحث:** من أجل تأكيد مدى صحة هذه الفرضيات، اعتمدنا في دراستنا على عدة مصادر تراثية؛ أهمها كتاب الفهرست لابن النديم، وكتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء

للقطبي، وكتاب عيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، وذلك بتكييف نصوصها واستخلاص معطياتها الإحصائية والرقمية، ولن تكون محاولتنا ذات جدوى، دون توجيهنا نحو اكتشاف بنية هذه النصوص وتفكيكها، واستخراج كل مكنوناتها وخاماتها المعرفية والعلمية والرقمية. وستكون قراءتنا النقدية والمتفحصة لهذا النصوص، إحدى القراءات الممكنة كطريق آخر لفهم هذا التراث، وفهم الأبعاد الدلالية لأسماؤه وبنية اللفظية. وسيمكننا من إحصاء العلماء، وتحديد بلدانهم وتعدادهم، ومعرفة أهم تخصصاتهم وآثارهم، وتأثيرهم على البحث العلمي في المجمل.

وهذه المحاولة -في حقيقة الأمر- قصدت من ورائها تتبع صيرورة البحث العلمي منذ فترة التأسيس لدار الحكمة، إلى مرحلة الترجمة للعلوم الأصيلية، و انتشار فكرة إنشاء المؤسسات العلمية في مختلف المدن الإسلامية، وقد اتبعت في ذلك المنهج الإحصائي و التاريخي، فضلا عن المنهج الاستنباطي التحليلي، تقصيا لأحوال العلم والعلماء، وإسقاطها على الواقع العلمي والحضاري العربي، من خلال تأسيس "منصة أريد".

**أهمية الدراسة:** تظهر أهمية دراستنا هذه من حيث إنها ستعمل على تحديد الأسس والمبادئ العامة، لمجمل الأحكام المعرفية وتحويلها إلى معطيات رقمية، باعتبارها معطيات مفتاحية دلالية لدراسة الظاهرة العلمية في ذلك العصر، والتي ستعكس فعليا حالة الظاهرة، منذ

تأسيس دار الحكمة ببغداد، الى غاية مراحل نضج العلوم العربية، وإبداعات علمائها، مركزين بذلك على التخصصات العلمية العقلية، كنموذج يمثل المنهج التجريبي، الذي سار على خطاه العلماء الأوربيون في العصر الحديث، والقصد من كل ذلك، بيان أثر دار الحكمة، ودورها في تخرج هذه النخبة المبدعة، التي أثرت على صيرورة البحث العلمي الأوربي لعدة قرون، وسيمكننا هذا العمل من معرفة أسباب نجاح مثل هذه الأفكار، وأهميته هذه التجارب العلمية الناجحة والرائدة، وإسقاطها على واقعنا، بإنشاء مؤسسة ومنصة علمية تجمع الخبراء والعلماء العرب، لإعلان انطلاقة جديدة للنهوض بحاضر هذه الأمة بالاعتماد على ماضيها نحو مستقبل مشرق.

أولاً: دار الحكمة و بواذر بروز مجتمع علمي جديد في بغداد :

المدلول المعنوي و الوظيفي لدار الحكمة:

إن كلمة "حكمة" لا تشير فقط إلى العقل، أو إلى الفكر النظري والفلسفي بالمعنى الشمولي، بل تشير إلى البعد المعرفي الموروث من العصور القديمة، والتي تعرف بالعلوم العقلية او علوم الأوائل، (ابن الطقطقا محمد بن علي، د.ت.ص 216) و لا نجد أي اختلاف

بين المصادر، في أن دار الحكمة قد مثلت الوعاء الذي جمعت فيه مختلف التصانيف الفلسفية والعلمية، (ابن النديم ابو الفرج يعقوب بن ابي اسحاق الوراق) بل وفي شتى العلوم.

ومن خلال قراءتنا لأهم المصادر والمراجع المرتبطة بموضوع دراستنا؛ وجدنا أنها أبانت عن بعض الجزئيات التي قد لا يخال للمرء ان يكتشفها، وهي جزئيات متعلقة بالجانب العمراني لهذه الدار، التي قد يعتبرها البعض ليست إلا بيتا، أو محلا صغيرا ذا أربعة أركان، تحفظ فيه الكتب التي جمعت من أماكن مختلفة.

(<http://www.encyclopediehumanisme.com>)

وقد أجحف مؤلف موسوعة الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري (آدم ميتز)، لما اعتبر أن دور العلم لم تكن معروفة في الدولة الإسلامية، إلا ابتداء من القرن (05هـ-11م). وجرّد دار الكتب من وظيفتها الثانية، وهي التعليم ونشر العلم، وجعلها لا تتجاوز وظيفة جمع الكتب. (آدم ميتز، مجلد 01، ط05، ص330).

وهي للأسف نظرة أبانت محدوديتها، لأن دار الكتب -التي قد يطلق عليها أيضا "بيت الحكمة" أو "خزانة الحكمة" - في عهد الخليفة هارون الرشيد، تجاوزت وظيفة جمع والكتب وخرزنها، بل زادت وظائفها وموظفوها، ومنتت أسسها وأركانها، وتوسعت لكثرة

الكتب التي حوتها، (الفينكنت فيليب دي طرازي، 1947. ص 100) وزادت أعداد العلماء والطلبة فيها.

فهذه النظرة الدونية إذن، أثبتت بعض المصادر خطأ حكمها، ولنراجع مثلاً قاموس اللغة (محيط المحيط) لنفرق بين معنى "الخزانة" و "البيت" و "الدار" كمصطلحات يتم توظيفها لترمز الى تطور هذا المصطلح واستعماله في أزمان مختلفة، فخزانة الحكمة في زمن المنصور وبيت الحكمة في عهد هارون الرشيد، كلاهما لا يحمان نفس المعنى الوظيفي في زمن المأمون أو المعتصم أو المتوكل، لأن هذا البيت قد كبر وتوسع بناؤه، وأصبح يسمى في عهد المأمون "بالدار" دار الحكمة" و "الدار" - كما جاء في قاموس محيط المحيط - هي الاسم الذي يشتمل على عدد من البيوت والمنازل، مزودة بصحن غير مسقف (بطرس البستاني، د.ت، ص 62)، وفي معجم الكليات لأبي البقاء البيت : هو اسم لمسقف واحد له دهليز، والمنزل : اسم لما يشتمل على بيوت، وصحن مسقف، ومطبخ، يسكنه الرجل بعياله. والدار : اسم لما اشتمل على بيوت ومنازل وصحن غير مسقف، والدار دار وإن زالت حوائطها (أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، 1998م. ص 239) .

فالدار إذن مصطلح أشمل وأوسع من مصطلح البيت كما جاء ذكره آنفاً، فالدار اشتملت على العديد من الأروقة، و كل رواق من أروقة هذه الدار له تخصص علمي، كالمدرسة أو

الأكاديمية التي توزعت أروقتها إلى تخصصات عديدة، تعج بالترجمين والعلماء والكتّاب والنسّاخ، الذين يعملون على الترجمة و القراءة، والكتابة، والنسخ، بالإضافة الى قاعات خصصت للمناظرات والحوار، وأجنحة خاصة للكتب والمخطوطات، حسب تخصصها في المواد العلمية المختلفة<sup>(8)</sup> (Subhi Al-Azzawi. P01.)

ثالثا: أهم المراحل التي مرت بها الحركة العلمية بعيد تأسيس بيت الحكمة:

#### 1) المرحلة الأولى: عصر النقل والترجمة:

وهي مرحلة، مرت بثلاث محطات رئيسية، امتدت من عهد الخليفة المنصور سنة 136هـ الى عهد الخليفة المتوكل سنة 247هـ (محمد عبد المنعم خفاجي، 1958، من ص 106 الى ص 109) مروراً بأهم خليفتين أزرا حركة الترجمة، هما: هارون الرشيد، و عبد الله المأمون (الدينوري أحمد بن داود، 1333هـ، ص 378) ، وشهد هذا القرن حركة في التدوين والتأليف (خضر احمد عطا الله، د.ت ، ص 368) ، وكان مرحلة تحضيرية للبنية التحتية ، رغم أن حركة الترجمة لم تكن في بدايتها، بل سبقها \_ كما نعلم \_ ترجمة لكتاب المجسطي الذي صنفه بطليموس (القفطي جمال الدين، 2005 ص 305).

وخلاصة القول: إن العلوم في هذه المرحلة لم نعرف لها شبيها في أي حضارة منذ القرنين (03-04هـ) (09-10م) (عبد الرحمن بدوي، ج01، ص 10)، ولم تخل من مبدأ التجريد استمرارا - كما قلنا- لطراز التفكير اليوناني، لكنه لا يخلو من مبدأ التجريب، خلافا لليونانيين مما خلق طرازا جديدا في فهم الأشياء ومعالجتها. (مرحبا محمد عبد الرحمن، 1998، ص42)

وختاما، كما قال احدهم: "إن العلماء لم يقتصروا على نقل المعرفة القديمة، بل إنهم خلقوا معارف جديدة" و طبقوا العلم على العمل (سعيد الديوهجي، 1972، ص21) وهذا ما سيتحقق في المرحلة اللاحقة.

## 2)- المرحلة الثانية: عصر النضج والتأليف

منذ نهاية القرن الثالث، وبداية من القرن الرابع الهجري -العاشر الميلادي- واستمرارا للقرن الخامس -الحادي عشر ميلادي- أصبح بإمكان العلماء العرب والمسلمين، أن يتقدموا ويصلوا إلى مرحلة الإبداع (فؤاد سزكين المجلد 3، 1430هـ. (مقدمة الكتاب صفحة ز) وسيسفر عنه قيام حركة ثقافية في التدوين والتأليف، وستكون هذه الحركة، أكثر شمولية و اتساعا من حركة الترجمة، وستغدو الترجمة مردفة بالتعليقات والشروح، لتظهر

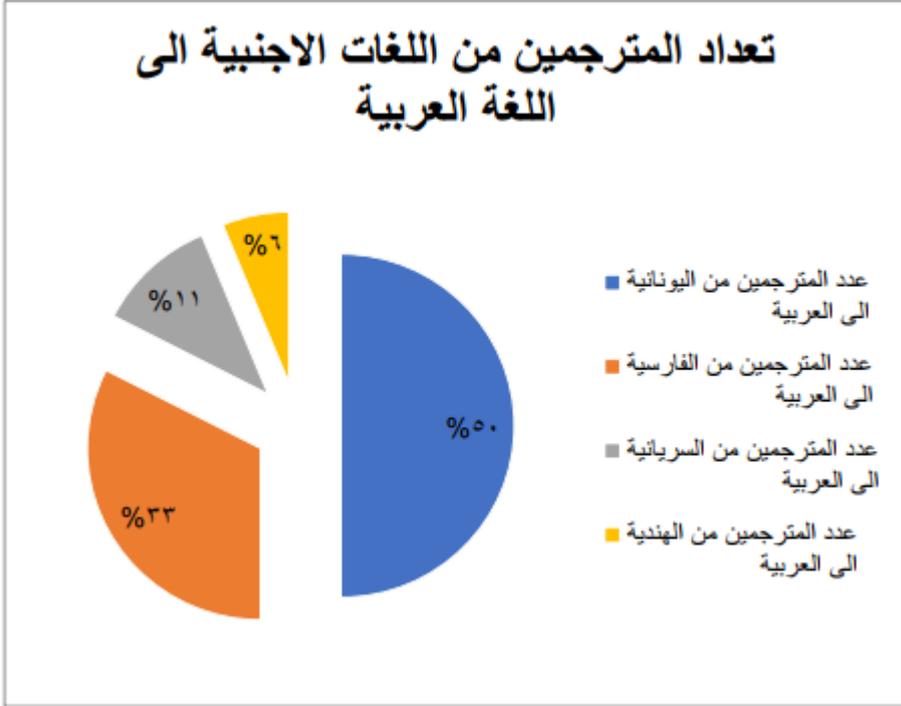
المؤلفات بصورة دراسات قصيرة في موضوعات محدودة (خضر احمد عطا الله، د.ت ، ص 269)، وتنتقل لتصبح مؤلفات جامعة، فيها اقتباس واجتهاد وتحليل وتنظيم وتبويب واستنباط، ورغم أن مواضيع هذه المؤلفات وعناوينها يغلب عليها الجانب الفقهي، فقد برزت المصنفات في التخصصات العقلية والتجريبية بشكل لافت، بل ومدعش أحيانا، من حيث روح النقد الإيجابي للنصوص اليونانية، وكثرة التصنيف، حتى أن أحدهم (وهو يحي بن عدي النصراني) كان يستطيع نسخ مائة ورقة وأكثر، في النهار والليله " ( ابن النديم، ص322)، ودافعه في ذلك أن العلم أصبح من أفضل أبواب الرزق وأشرفها (مرحبا محمد عبد الرحمن، 1998. ص 237). ، وأكثرها نفوقا، فالطبيب عيسى الرقي التفليسي مثلا- وكما يذكر ابن ابي أصيبعة- كان " يأخذ أربعة أرزاق رزقاً بسبب الطب، ورزقاً بسبب النقل، ورزقين بسبب علمين آخرين" (ابن ابي اصيبعة، 1299هـ، ج2، ص 140).

### (3)- المرحلة الثالثة : تكوين الهيئات والمؤسسات العلمية:

لا يختلف اثنان على ان الدور الذي لعبه بيت الحكمة، كرّس الفعل المعرفي من خلال انتشار دور العلم، ومراكز المعلومات ليس فقط في بغداد التي عرفت إضافة إلى دار الحكمة، إنشاء ثلاث مكتبات أخرى، بل تعداه في القرون اللاحقة إلى إنشاء العديد من هذه المؤسسات التي نعتبرها تفرعات علمية لدار الحكمة ببغداد أو قرطبة؛ في كل من غزنة وسمرقند ومرو،

وخراسان وأصفهان والري و الشام، والقاهرة والقيروان، وفاس ومراكش، و طليطلة  
 واشبيلية وغرناطة.. وقد كانت طرق الحج الأداة والسبب في الربط بين أطراف هذه المدن،  
 وملتقى الكثير من أهل العلم والمعرفة، و أصبح هذا الوضع كما يصفه سارتون "ضربا من  
 فضول المعرفة"(سارتون جورج، 1961، ص 163)، وعاملا مهما في تلاقح الأفكار بين  
 مختلف العلماء، و سببا في النهضة العلمية للعديد من مدن الدولة، و مضاهيا لمدينة بغداد.

اسماء المترجمين من اليونانية الى العربية	اسماء المترجمين من الفارسية الى العربية	اسماء المترجمين من الهندية والسريانية الى العربية
<p>اصطفن، البطريق وابنه زكرياء يحيى، يوحنا بن يوسف بن الحارث بن البطريق، عبد المسيح بن عبد الله الحمصي الناعمي، سلام الابرش، حبيب بن بهريز الموصلي، زروبا بن ماجوه الناعمي الحمصي، هلال بن ابي هلال الحمصي، يوحنا بن ماسويه، محمد بن اسحاق، محمد، احمد، محمد، الحسن، شاكر المنجم و ابنائه، حسين بن اسحاق، حنين بن اسحاق، اسحاق بن حنين يحيى بن عدي، ابراهيم بن عبد الله، أبو عثمان الدمشقي، ابراهيم بن عبد الله النصراني، الفارابي أبو نصر، أبو روح الصابي، قسطا بن لوقا البعلبكي، ثابت بن قرّة، ابراهيم بن الصلت، بن بكوس، متى أبو زكريا أبو علي عيسى بن إسحاق بن زرعة، أبو زكريا يحيى بن عدي، اسطاث، ابراهيم بن بكوس، الحجاج بن يوسف بن مطر، أبو الوفا محمد بن محمد الحاسب، عيسى بن يحيى، حبيش بن الحسن الأعسم، اصطفن بن بسيل، أبو الحسن الحراني، حنين بن إسحاق العبادي ويكنى أبا زيد أحمد بن عبد الله بن سلام                      أحمد بن موسى هلال بن أبي هلال الحمصي، المسودريوس، توما</p>	<p>وهب بن سلمان، عبد الله بن المقفع، إبان اللاحق، إبان بن عبد الحميد بن لاحق، ابن عثمان الدمشقي، إسحاق، ثابت، آل نوبخت منهم أبو سهل الفضل بن نوبخت، وسهل بن هارون، موسى ويوسف ابنا خالد، التميمي علي بن زياد ويكنى أبا الحسن البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر، جبلة بن سالم، إسحاق بن يزيد، محمد بن الجهم البرمكي، هشام بن القاسم موسى بن عيسى الكردي زادويه بن شاهويه الأصفهاني محمد بن بهرام بن مطيار الأصفهاني، بهرام بن مردان عمر بن الفرخان. عبد الله بن علي، إسحاق بن علي بن سليمان، جبلة بن سالم، بن يزيد كاتب عمارة بن حمزة،</p>	<p><b>الهندية</b>                      منكه الهندي، إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، بن دهن الهندي، علي بن داود بشر بن المعتمد، يحيى بن محمد وجماعة البرامكة 05  <b>السريانية:</b>                      بن وحشية، حنين بن اسحاق، إسحاق بن حنين، ثابت بن قرّة أحمد بن الطيب، بن ناعمة، يحيى بن عدي، متى بن يونس، يونان أبو بشر متى بن يونس. بن الخمار وهو أبو الخير الحسن بن سوار بن بابا بن بهرام، عيسى بن اسيد النصراني، يحيى بن سرافيون، ماسرجيس،</p>
المجموع 40	المجموع 26	المجموع 14



المصدر: ابن النديم، الفهرست.

(الجدول:01)

### الشكل البياني:01

ونشير هنا، إلى أن الاستقرار الحضاري لأي أمة، مرتبط -بالأساس- بالاستمرارية والتواصل العلمي، لمختلف المراكز العلمية، ولن يتأسس أو يتطور هذا العلم؛ دون أن تكون المؤسسات الخاصة به، قد أنشأت في أول الأمر. وبذلك فإن المراكز ودور العلم التي ذكرناها تُعدُّ النواة الأولى لمختلف العطاءات الحضارية التي عرفتها الأمة العربية

والإسلامية لاحقاً، وقدمتها للإنسانية بمستوى راق وأخلاقي، ميزها بهذه الصفة عن كل الحضارات السابقة واللاحقة.

و مع ذلك، ورغم الكبوات التي عرفتها الأمة لاحقاً، وضمور البحث العلمي وتقلصه في القرون التي تلت سقوط بغداد على يد المغول سنة 1258 م؛ فقد جرت محاولات للسير على منوال الجامعات العلمية، رغم محاولة الأتراك النهوض من جديد بالأمة الإسلامية، بعد أن استلموا وديعة الخلافة الإسلامية، في ظل ضياع إرث حضاري كبير، ودمار نتيجة للغزو المغولي والصليبي.

و مع ذلك فقد بقيت شرايين الحياة تنبض دائماً، وقدّر لهذه الأمة ألا تموت أبداً، وتفتق عنها قامات كبيرة، كابن خلدون و ابن الخطيب، إلى أن ظهرت بعض محاولات النهضة العربية، مثَّلتها شخصيات رائدة بإنشاء مكتبات، وقفها بعض سلاطين آل عثمان وأبناؤهم، وفريق من الوزراء و أنصار العلم للفائدة العمومية فكانت المخطوطات في تلك المكتبات وسيلة ليتعرف علماء الأتراك، على حضارة العرب، ووقفوا على محاسن اللغة العربية ومختلف خطوطها، ونافسوا العرب في إجادة الخط، وبرعوا في هذه الصناعة وانتهت اليهم الرئاسة في الخط العربي على اشكاله المختلفة. ولعل أشهر المكتبات التركية، مكتبة علي أميرى، التي احتوت على 20 ألف مخطوط، ومكتبة الجامعة، والمكتبة العمومية، ومكتبة

الفتاح، ونور عثمانية، وقد احتوت جميعها على 33 الف مخطوط (الفينكنت فيليب دي طرازي، 1947. ص 252-254)

رابعا: - إحصاء العلوم والعلماء الذين انتجتهم دار الحكمة:

سأحاول في هذا العنصر أن أتبع المصادر الرئيسة التي أحصت العلماء والعلوم، مثل كتاب إحصاء العلوم للفارابي، وكتاب الفهرست لابن النديم إضافة الى كتابي عيون الأنباء لابن أصيبعة و إخبار العلماء للقفطي. وسأحاول التركيز أيضا على العلوم الدخيلة التي لم يعرفها العرب من قبل (الفارابي ابى نصر، 1996، ص 5)، و التي كانوا في حاجة إليها لمعرفة الأنواء، وضبط مواقيتهم الشرعية والدينية (جميل نخلة المدور، 2003، ص 181)، كالصلاة، وشهر الصوم والحج، وبداية السنة الهجرية، ومعرفة طرق التجارة البرية والبحرية.

وكما نرى، فإن المطالع للمصادر؛ يجد أن ذخائر هذه العلوم اشتهرت بها مدن الإسكندرية وأنطاكية، وحران، وخوارزم، جنديسابور، لتنتقل منها أخيرا إلى بغداد (ابن اصيبعة. ج 1 ص 44-45) التي شهدت فيها عملية النضج والازدهار الحضاري، ابتداءً من القرن 10/هـ 10م وبذلك سأختار عند إحصائي لهذه العلوم، كل من علوم الطب،

والهندسة، والحساب، والفلك والنجوم، معتمدا على أهم المصادر والمراجع التي أحصتها، وهي: كتاب الفهرست، وكتاب تاريخ التراث العربي لفؤاد سيزكين، ولا أريد في هذه الورقة التعليق كثيرا، بل سأترك الأرقام والمؤشرات البيانية المحصل عليها تتكلم، إدراكا منا بأهمية استخدام المنهج الكمي والإحصائي في دراسة التراث الحضاري للأمم. وسنكتفي فقط بتعداد هذه العلوم الرائجة في ذلك الوقت، وبذلك سيكون هدفنا: إعطاء القارئ فكرة عن مختلف العلوم وعلمائها المشهورين، وأهم مصنعاتهم ومجالاتهم (جدول رقم: 02)، لكي تعيننا على معرفة الأحوال والأوضاع التي كانت عليها الحركة العلمية وتحليلها، وأهمية التواصل العلمي بين العلماء عبر حقب وأزمنة مختلفة، من خلال إنتاج هذا الكم الهائل من المعارف والعلوم المتنوعة، التي أنتجتها دار الحكمة طوال قرون.

وللعلم فإن إحصاء العلوم والعلماء، ليست بالعملية السهلة خاصة في عملية التفريق بين العلماء الذين هم من أصول عربية، أو هم من أصول أجنبية؛ لأن المصادر والمراجع قد أغفلت في كثير من الأحيان هذا الجانب، بسبب أن أغلب العلماء المسلمين، كانوا من أصول أجنبية، واتخذوا لأنفسهم أسماء عربية، لذا فقد تتبعت بين العلماء حسب كنانهم، وأصالة أسمائهم، وانتمايتهم القبلية والمكانية.

العصر وتاريخ وفاته	أهم الكتب	التخصص	البلد	العلماء
العصر العباسي الأول ت عام 259 هـ/		الترجمة، الفلسفة	قبيلة كندة	الكندي يعقوب بن إسحاق
العصر العباسي الأول توفي ما بين سنة 232 هـ و 236	كتاب الجبر والمقابلة	الرياضيات	خوارزم	الخوارزمي محمد بن موسى
العصر العباسي الثالث عهد نوح بن منصور	القانون في الطب	الطب	بخارى سنة 370 هـ	ابن سينا
العصر العباسي الثاني حوالي سنة 929 م.	كتاب معرفة مطالع البروج فيما بين أرباع الفلك	الفلك	بتان بإقليم حران حوالي عام (240 هـ)	البتاني محمد بن جابر بن سنان
العصر العباسي الثالث 430 هـ	المناظر معادلة من الدرجة الرابعة	عالم موسوعي	البصرة ولد سنة 354 هـ	ابن الهيثم الحسن بن الحسن
ت 339 هـ	إحصاء العلوم	فيلسوف	الغراب بالترك	الفارابي أبو نصر
العصر العباسي الأول ت سنة 197 هـ	له تأليف في عمل الاضطراب	علوم الطبيعة والكيمياء	الكوفة ما بين سنة 101 هـ و 117 هـ	جابر بن حيان
في عصر المكتفي وجزء من زمن المقتدر توفي 320 هـ	الحاوي في الطب أو الجامع	طبيب و أديب	الري	الرازي أبو بكر

جدول رقم: 02.

والذي يطالع هذه الإحصائيات (الجدول 03 والشكل البياني 02)، يظهر له بجلاء تفوق تخصصي الطب والرياضيات- وهما متقاربان - ثم يأتي في المرتبة الثالثة تخصص الفلك وعلم النجوم ب 116 علما .

ومن خلال (جدول رقم: 04 والشكل البياني 03) يظهر أن هذه المرحلة أنجبت فطاحل العلماء المسلمين من أقاليم مختلفة، خاصة إقليم خوارزم و نيسابور و جنديسابور ببلاد فارس التي احتلت الصدارة في تكوين العلماء، وتخريج الطلبة في التخصصات الطبية والفلكية، لمدة لا تقل عن الأربعة قرون الأولى الهجرية، في ظل الدولة العباسية، ونظرا

لتقاليدهم العلمية الموروثة عن الفرس؛ ظلت نظرياتهم وعلومهم -بما حققت من أصالة وإبداع- تدرس بأوروبا لعدة قرون، ويكفي أن نذكر هنا كل من الخوارزمي و ابن سينا والفارابي، وغيرهم كثير...

إسم التخصص	مجموع العلماء عامة	مجموع العلماء العرب
الترجمة	85	19
الطب والصيدلة	134	47
الحساب والرياضيات	131	61
الفلك وعلم النجوم	116	48
الكيمياء والصناعة	39	25
المجموع	505	200

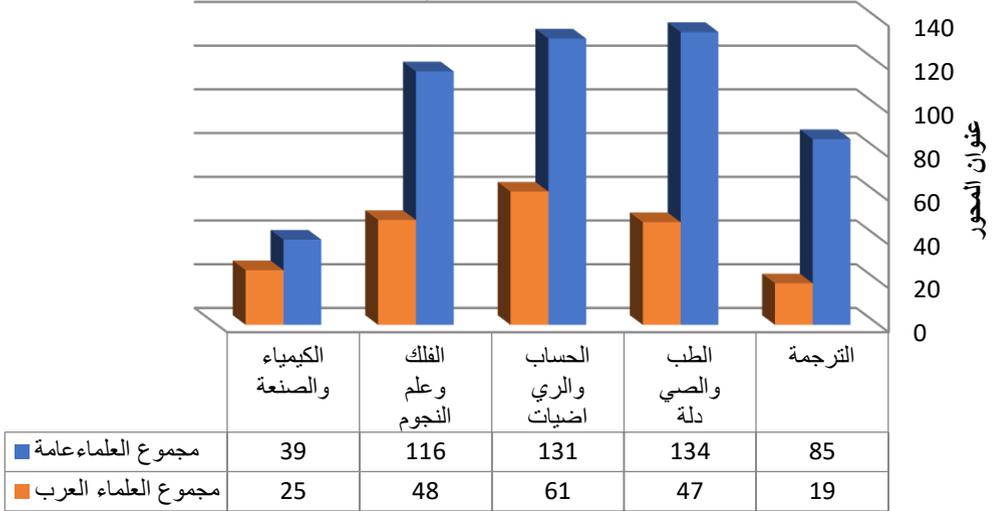
المصدر: تاريخ التراث العربي

جدول رقم:03

الاقليم	خراسان	خوارزم	طبرستان	حران	بعلبك	مصر	بلخ	اصفهان	نيسابور	جنديسابور	دمشق	المجموع
عدد العلماء	07	12	03	07	02	07	04	03	11	09	07	72

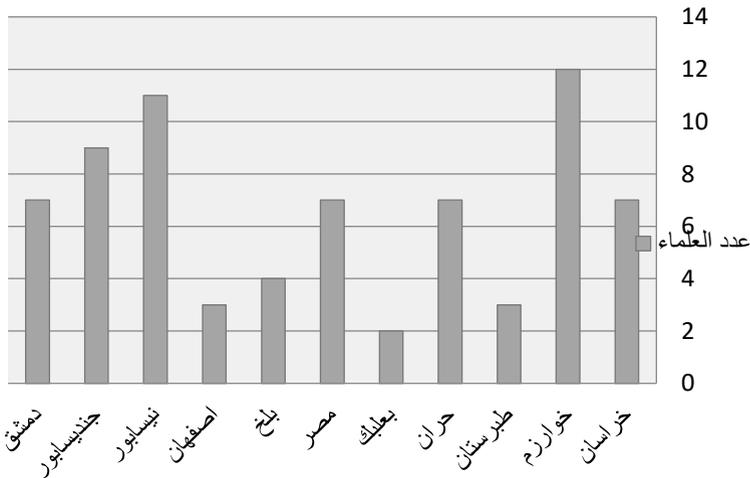
جدول رقم:04

## إحصاء العلوم والعلماء



الشكل البياني رقم:02.

## إحصاء عدد العلماء في اقاليم الدولة الاسلامية



الشكل البياني رقم:03.

وأما عن مجموع العلماء العرب، فيحتل تخصص الحساب والرياضيات المرتبة الأولى ب:61 عالم، ويليه الفلك و النجامة ب: 48 ثم الطب ب:47 عالم عربي. ويرجع سبب قلة اشتغال العلماء العرب بهذه المجالات؛ إلى غربتها، كما لاحظ ذلك ابن خلدون، وعلّق عليه بقوله: "من الغريب الواقع أن حَمَلَة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم.... وإن كان منهم العربي في نسبه، فهو أعجمي في لغته و مرباه و مشيخته، مع أن الملة عربية و صاحب شريعته عربي". ويعلل ذلك: "...بانتشار أحوال السذاجة و البداوة.. بين أمة العرب... و أن الصنائع من منتحل الحضرة،... و الحضرة لذلك العهد هم العجم.... أما العرب الذين أدركوا هذه الحضارة... فشغلتهم الرئاسة في الدولة العباسية... عن القيام بالعلم و النظر فيه.. و الرؤساء أبدا يستنكفون عن الصنائع و المهن و ما يجز إليها و دفعوا ذلك إلى من قام به من العجم و المولّدين..". (ابن خلدون، 2001، ص ص 747-748)، ويعلل ذلك جميل نخلة المدوّر بقوله: " ظنهم كفاية ما لديهم من التجربات التي توارثوها من مشيخة الحي، و عدم حاجتهم الى مثل هذه الصناعة في كسب الرزق و ترفعهم عنها كغيرها أنفة". هذا في الطب، و أما في الفلك و النجوم؛ فإنه يرى براعة النصارى و الفرس فيه، على عكس العرب، لأنهم كانوا ينظرون إليه "ويعدّونه من السحر المحرم الاشتغال به" (جميل نخلة المدور، 2003، ص 180)، و مع ذلك تبقى هذه الظاهرة مقتصرة على المراحل الأولى من تاريخ حضارة العرب، وهي محصورة في المرحلة الأولى من العهد العباسي، لأننا سنرى في

القرون اللاحقة زيادة الاهتمام من طرف العرب، والاشتغال بكل هذه العلوم، كدليل على وعيهم العلمي، وتظهر بوضوح في مناطق أخرى في مصر وبلاد المغرب والأندلس، شخصيات عظيمة في مختلف هذه التخصصات مثل: ابن الخطيب و نصير الدين الطوسي وابن خلدون.....

## الخاتمة:

وفي خاتمة هذا العرض، فقد أردت أن أستلهم من الماضي -من خلال تجربة بيت الحكمة- كل إيجابياته، وحاولت أن أتجنب مثالبه و سلبياته، وأن أجعل من نموذج منصة أريد، الحاضر الذي يَحذر الفشل، لكنه يطمح إلى المستقبل، وفق خطة عمل استشرافية واقعية مستلهمة من الماضي كل النجاح الذي عرفه بيت الحكمة.

كما أنني حاولت جاهداً، أن أحلل و أناقش النص، وأحوّله إلى حالة رقمية لتكون أداة مقارنة بين حالتين، أو ظاهرتين مختلفتين زمانياً ومكانياً، الأولى: هي حالة زمنية منقضية لكنها ناجحة، والثانية، حالة زمنية آنية ناشئة. ووجدت هذا التماثل في الغرض والمقصد والتشابه في الدواة و الأدوات، فالحرف عربي، و العلم عربي، والإنسان عربي، وإن اختلف جنسه.

وبذلك فإن منصة أريد، سيكون لديها كل هذا الزخم: الماضي بتاريخه وتراثه، والحاضر بطموحه وإرادته، والمستقبل بتحقيق كل نجاحاته وإنجازاته.

والله المستعان وعليه التكلان، وهو الأول والآخر. والله الأمر في الأول ومن بعد

## قائمة بالمصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ت عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة بيروت 1998م.

الفارابي، أبو نصر، إحصاء العلوم. تقديم علي بوملحم، ط01، دار ومكتبة هلال، بيروت. 1996

بطرس البستاني، قاموس محيط المحيط، مكتبة لبنان.

ابن أبي أصيبعة أحمد بن القاسم، عيون الأنباء في طبقات الأطباء. ج1، نشره أجست ملر، طبعة القاهرة 1299هـ .

-ابن النديم أبو الفرج يعقوب بن أبي اسحاق الوراق، الفهرست، ت رضا-تجدد.

-ابن خلدون، المقدمة من كتاب ديوان المبتدأ والخبر. ت سهيل زكار، دار الفكر، بيروت. 2001.

- القفطي جمال الدين أبي الحسن علي، إخبار العلماء بأخبار الحكماء، ت إبراهيم شمس

الدين، دار الكتب العلمية، بيروت. 2005

ثانيا: المراجع:

الفيكنت فيليب دي طرازي، خزائن الكتب العربية في الخافقين. وزارة التربية الوطنية

والفنون الجميلة - لبنان 1947.

تاريخ العلم والأنسية الجديدة، ت إسماعيل مظهر، دار النهضة العربية، القاهرة، 1961م

جميل نخلة المدور، تاريخ العراق في العصر العباسي، ط01، دار الافاق العربية،

القاهرة، 2003.

محمد عبد المنعم خفاجي، صور من الفكر العربي وتاريخ الإسلام، ط1، دار العهد الجديد،

1958.

مرحبا محمد عبد الرحمن، المرجع في تاريخ العلوم، ط01، دار الجليل، بيروت، 1998

-آدم ميتز، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ت محمد عبد الهادي ابو ريده،

مجلد01، ط05، دار الكتاب العربي، بيروت.

-جوناثان ليونز، بيت الحكمة، الدار العربية للعلوم.

-خضر أحمد عطا الله، بيت الحكمة في عصر العباسيين، ط01، دار الفكر العربي، القاهرة،

-سعيد الديوهجي، بيت الحكمة، مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل 1972،

-عبد الرحمن بدوي، الفلسفة والفلاسفة في الحضارة الاسلامية، موسوعة الحضارة، ج01،

المؤسسة العربية للدراسات، بيروت.

-فؤاد سزكين، تاريخ التراث العربي، ت عبد الله بن عبد الله حجازي، المجلد 3، النشر

العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، 1430هـ. (مقدمة الكتاب صفحة ز)

Subhi Al-Azzawi La Maison de la Sagesse des Abbassides à Bagdad ou les débuts de l'Université. Traduit de l'anglais par Belqacem Marzouqi.P01.  
*safe6035d75a38b66.jimcontent.com/.../la\_maison\_de\_la\_sagesse.pdf*

<http://www.encyclopediehumanisme.com/?%D8%A8%D9%8A%D8%A-%D8%A7%D9%84%D8%AD%D9%83%D9%85%D8%A9>.

## الهجرة والإدارة العلمية للأزمات"

د. طه أحمد الزيدي

رئيس قسم الفتوى بالمجمع الفقهي العراقي

رئيس مركز البصيرة للبحوث والتنمية الإعلامية

### المقدمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

تتجلى أهمية هذه الدراسة في أهمية الهجرة كحدث تاريخي في الإسلام، وكمرحلة متجددة في حركة المجتمعات العربية سلبيًا وإيجابيًا، وكذلك في أهمية إدارة الأزمات التي تتوالى على المجتمعات الإسلامية، وأصبحت تهدد هويتها ووجودها، لأن الأزمات على اختلاف أنواعها؛ تعد من أكبر وأخطر معوقات النهوض الحضاري للأمة ويرى بعض الباحثين، أن من العناصر الأساسية لرسم استراتيجية مقترحة لإدارة الأزمة: "وضع التشريعات المتعلقة بقضايا الأزمات"<sup>(1)</sup>.

---

(1) الإعلام والأزمات المعاصرة، د. هويدا مصطفى، الهيئة المصرية للكتاب - القاهرة، 2009، ص 25.

ومن هنا نرى الحاجة إلى الاهتمام بالتأصيل الشرعي لإدارة الأزمات؛ فهو علم له أصوله وقواعده وأدلته الشرعية، فالنصوص الشرعية حافلة بالتوجيهات لمواجهة الأزمات قبل حلولها بمعالجة أسبابها، أو لأجل الوقاية منها، أو لتقليل أثرها عند حدوثها.

### المسألة الأولى: مفهوم إدارة الأزمات

تعريف الإدارة: لغة؛ التداول والتعاطي، ومداورة الشؤون معالجتها، والمداورة المعالجة<sup>(2)</sup>.

واصطلاحاً: النشاط الذي يعمل على تحديد الأهداف وتحقيقها بواسطة الآخرين عن طريق التخطيط الدقيق لهم، والتنظيم الجيد لأعمالهم، والتوجيه الواعي لمسارتهم، والرقابة الفعالة لأدائهم في ظل اتخاذ القرارات الرشيدة<sup>(3)</sup>.

تعريف الأزمة: لغة: (الأزمة) الضيق والشدة، يُقال: أزمة مَالِيَّة، وأزمة سياسية، وأزمة مرضية<sup>(4)</sup>.

---

(2) لسان العرب لابن منظور 295/4، وتاج العروس للزبيدي 11 / 331.

(3) أصول الإدارة في القرآن والسنة ، د. جميل جودت أبو العينين، دار الهلال - مصر، ط 1 / 2002، ص 44.

(4) لسان العرب لابن منظور، ج 16/12، والمعجم الوسيط للزيات وآخرين، ج 16/1.

واصطلاحاً: "حالة توتر ونقطة تحول تتطلب قراراً ينتج عنه مواقف جديدة سلبية كانت أو إيجابية، تؤثر على مختلف الكيانات ذات العلاقة، فهي حالة غير مستقرة تنتظر حدوث تغيير حاسم"<sup>(5)</sup>.

وقد تكون سياسية أو أمنية أو اقتصادية أو اجتماعية، وتمثل خلافاً وعدم توازن في عناصر هذه الأنظمة؛ في ظل حالات التوتر والقلق والشعور بالعجز لدى أفراد هذا النظام، ويؤثر على تحقيق أهدافها أو بقائها ووجودها، وقد تدفع إلى ظهور قيم ومعايير مغايرة لما هو سائد قبلها.

#### تعريف إدارة الأزمة:

يعرفها د. نعيم الظاهر، بأنها: "كيفية التغلب على الأزمة بالأساليب العلمية والإدارية المختلفة ومحاولة تجنب سلبياتها والاستفادة من إيجابياتها"<sup>(6)</sup>، ويؤخذ عليه ذكر إحدى المفردات في متن التعريف.

---

(5) إدارة الأزمات - استراتيجية المواجهة، د. علي هلهور الرويلي، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية - كلية العلوم الاستراتيجية، ص 7.

(6) إدارة الأزمات، د. نعيم إبراهيم الظاهر، عالم الكتب الحديثة - بيروت، ط 1/ 2009، ص 131.

ويمكن تعريفها بأنها: التخطيط لسلسلة الإجراءات الملائمة، والقرارات الهادفة للسيطرة

على حالة توتر أو ضيق، والحد منها للوصول إلى حالة استقرار وتوازن.

### إدارة الأزمة والتخطيط

يمكن تقسيم إدارة الأزمة من حيث التخطيط وعدمه إلى:

إدارة انفعالية: تعتمد الإجراءات الارتجالية لمواجهة الأزمة عند حصولها

إدارة علمية: تعتمد التخطيط المدروس لمعالجة الأزمة قبل حصولها وعند وقوعها

### المسألة الثانية: الإدارة النبوية للأزمات

لقد واجهت النبي عليه الصلاة والسلام منذ الجهر بالدعوة أزمات متعددة ، ونقف عند

إدارة النبي صلى الله عليه وسلم للأزمات المتعلقة بالهجرة وما بعدها.

اولا: الهجرة لمعالجة أزمة سياسية تتعلق بوجود الجماعة الأولى

بعد اشتداد أذى قريش على المسلمين الأوائل في مكة، وتصريح بعض الصحابة بذلك،

كان الأمر من النبي صلى الله عليه وسلم لأصحابه بالصبر، عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرْتِّ -رضي

الله عنه-، قَالَ: شَكُونَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ

الكَعْبِيَّةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلَا تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُخَمَّرُ لَهُ فِي الْأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيَجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيَشُقُّ بِأَثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمَشِّطُ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ مَا دُونَ خِمِّهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهُ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّكَّابُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتٍ، لَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوْ الذُّبَّ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»<sup>(7)</sup>.

ولكن الأمر اشتد حتى شكّل أزمة هددت وجود الجماعة الأولى، بعد أن ثار ناس كثير من كفار قريش بمن آمن من قبائلهم، فعذبوهم وسجنوهم، وأرادوا فتنهم عن دينهم، هنا أصدر النبي -عليه الصلاة والسلام- قراراً، انتقل به من موقف الصبر إلى الإذن بالهجرة إلى بلد آخر، في خطوات مدروسة ومحددة، إذ قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- لأصحابه: "تفرقوا في الأرض"، فقالوا: أين نذهب يا رسول الله؟ قال: "ها هنا" وأشار إلى الحبشة، وكانت أحب الأرض إليه أن يهاجر قبيلها<sup>(8)</sup>، وعن أم سلمة -رضي الله عنها- زوج النبي -

(7) أخرجه البخاري، 201/4، حديث رقم 3612.

(8) الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد، البصري المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)

تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1/ 1410 هـ - 1990 م، ج1/203.

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَتَتْهَا قَالَتْ: لَمَّا ضَافَتْ عَلَيْنَا مَكَّةَ وَأُوذِيَ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وَفَتِنُوا وَرَأَوْا مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَالْفِتْنَةِ فِي دِينِهِمْ، وَأَنَّ رَسُولَ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لَا يَسْتَطِيعُ دَفْعَ ذَلِكَ عَنْهُمْ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي مَنَعَةٍ مِنْ قَوْمِهِ وَعَمِّهِ، لَا يَصِلُ إِلَيْهِ شَيْءٌ مِمَّا يَكْرَهُ مَا يَنَالُ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ بَارِضَ الْحَبَشَةِ مَلِكًا لَا يُظْلَمُ أَحَدٌ عِنْدَهُ فَاحْتَقُوا بِبِلَادِهِ، حَتَّى يَجْعَلَ اللهُ لَكُمْ فَرَجًا وَمَخْرَجًا مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ"، معللا ذلك بقوله: "لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ فَإِنَّ بِهَا مَلِكًا لَا يُظْلَمُ عِنْدَهُ أَحَدٌ، وَهِيَ أَرْضٌ صِدْقٍ"<sup>(9)</sup>.

وبتحليل هذه المواقف، نستنتج الخطوات العلمية التي اتبعها النبي صلى الله عليه وسلم لإدارة هذه الأزمة، وهي:

جمع المعلومات لتوصيف الأزمة ومتابعة تطورها

التفكير بحلول ممكنة وناجحة

(9) السيرة النبوية، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (المتوفى: 213هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد

شركة الطباعة الفنية المتحدة - بيروت، 1 / 321. وأخرجه البيهقي في "السنن الكبرى" (16/9) حديث رقم (17734)

## اتخاذ القرار المناسب

تحويل الأزمة الى فرصة مستقبلية (إسلام النجاشي).

ثانيا: هجرة القيادة (أزمة البيئة الآمنة)

بدأ الصحابة الهجرة الثانية إلى المدينة بعد البيعة الثانية، ورغب أبو بكر -رضي الله عنه- بالهجرة فقال له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «على رسلك، فإني أرجو أن يؤذن لي» فقال أبو بكر: «وهل ترجو ذلك بأبي أنت وأمي؟» قال: «نعم». فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده، وأخذ يتعهدهما بالرعاية أربعة أشهر.

وبينما هم جلوس في بيت أبي بكر في حرّ الظهيرة، قال قائل لأبي بكر: «هذا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- متقنعا، في ساعة لم يكن يأتينا فيها»، قال له رسول الله: «أخرج من عندك»، فقال أبو بكر: «إنها هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول الله». قال: «فإني قد أذن لي في الخروج».

وأمر أبو بكر ابنه عبد الله، أن يتسمّع لهما ما يقوله الناس عنهما في بياض النهار، ثم يأتيهما إذا أمسى بما يكون معه من الأخبار، وأمر عامر بن فهيرة (مولاه) أن يرعى غنمه نهاره، ثم يريحها عليهما إذا أمسى، إلى الغار (غار ثور) ليطعما من ألبانها.

فأقاما فيه ثلاثة أيام، وكان يبيت عندهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بأخبار مكة، ثم يدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت بها، وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من الغنم، فإذا خرج من عندهما عبد الله تبع عامر أثره بالغنم كي لا يظهر لقدميه أثر. وكان دليلهما هو عبد الله بن أرقط (وهو من المشركين، كانا قد استأجراه ليدلّهما على الطرق الخفية إلى المدينة بعد أن اطمأنّا إليه، وواعدها مع الراجلتين عند الغار)<sup>(10)</sup>.

لقد استعمل الرسول -صلى الله عليه وسلم- كل الأساليب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل، حتى لم يترك وسيلة من هذه الوسائل إلا اعتدّها واستعملها، فترك علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ينام في فراشه ويتغطى ببرده، واستعان بأحد المشركين - بعد أن أمنه - ليدله على الطرق الفرعية التي قد لا تخطر في بال الأعداء،

---

(10) ينظر: السيرة النبوية ابن هشام، ج 1/484-488، والسيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة - بيروت، ط 1/1976 م، 2/232-238.

وأقام في الغار ثلاثة أيام متخفياً، إلى آخر ما عبّاه من الاحتياطات المادية التي قد يفكر بها العقل، ليوضح بذلك أن الإيمان بالله عز وجل لا ينافي استعمال الأسباب المادية التي أراد الله عز وجل بعظيم حكمته أن يجعلها أسباباً.

ثالثاً: المؤاخاة لمعالجة أزمة اجتماعية واقتصادية (متوقعة)

كان وصول المهاجرين إلى المدينة، وقد تركوا أهليهم وأموالهم ومساكنهم، ينذر بحصول أزمة اجتماعية، فأصدر النبي -عليه الصلاة والسلام- فتواه بالمؤاخاة بين المهاجرين من قريش والأنصار، فعن أنسٍ -رضي الله عنه- قَالَ: حَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بَيْنَ قُرَيْشٍ وَالْأَنْصَارِ، فِي دَارِهِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ<sup>(11)</sup>.

ويتحدث عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- عن أثر هذه الفتوى: لَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَخَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: إِنِّي أَكْثَرُ الْأَنْصَارِ مَالًا، فَأَقْسِمُ لَكَ نِصْفَ مَالِي، وَأَنْظُرَ أَيَّ زَوْجَتَيَّ هَوَيْتَ نَزَلْتُ لَكَ عَنْهَا، فَإِذَا حَلَّتْ،

(11) اخرجہ مسلم، 4/1960 حديث رقم 2529.

تَرَوُجَتَهَا، قَالَ: فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: لَا حَاجَةَ لِي فِي ذَلِكَ هَلْ مِنْ سُوقٍ فِيهِ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: سُوقٌ قَيْنُقَاعٍ، قَالَ: فَعَدَا إِلَيْهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ، فَأَتَى بِأَقِطٍ وَسَمْنٍ، قَالَ: ثُمَّ تَابَعَ الْغُدُوَّ" (12).

إن سبب المؤاخاة كان اجتماعياً نفسياً، فقد آخى صلى الله عليه وسلم بين أصحابه حين نزلوا المدينة؛ ليذهب عنهم وحشة الغربة، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة، ويشد أزر بعضهم ببعض، فلما ظهر الإسلام واجتمع الشمل ذهب الوحشة (13).

ثالثاً: فتح سوق جديدة بمعايير شرعية لمعالجة أزمة السوق التجارية المشتركة

كان سوق المدينة يقام في حي بني قينقاع، وهم من اليهود، وقد غلبت عليهم طبيعتهم حيث كانوا يفرضون خراجاً على المتاجرة، ويبيعون أماكن في السوق للباعة يتعاملون عليها أو يؤجرونها أو يحتكرونها لأنفسهم، وبالتالي كانت لهم السيادة على هذا السوق (14)، فضلاً

---

(12) أخرجه البخاري، ج2/52، حديث رقم 2048.

(13) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار المعرفة - بيروت، ط1/ 1379، ج4/267.

(14) المشكلة بتكملا، مناغ ينغلاذبع هللاذبع، مالسلا يف راعسألاو روجألا ةيرظنو ةيداصتقلا 99 ص، 1984/1 ط، ئيدحلا يعماجلا.

عن التعامل الربوي السائد في السوق، والتصرفات الأخلاقية السيئة مع رواده، ولاسيما النساء.

فقرر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنشاء سوق جديدة لا تبعد كثيراً عن سوق بني قينقاع، وضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم قبة في موضع بقيع الزبير، فقال: (هذا سوقكم)، فأقبل كعب بن الأشرف فدخلها وقطع أطناها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا جرم لأنقلنّها إلى موضع هو أغيظ له من هذا)، فنقلها إلى موضع سوق المدينة، ثم قال: (هذا سوقكم، لا تتحجروا، ولا يضرب عليه الخراج)، وفي رواية: (فَلَا يُضَيِّقُ، وَلَا يُؤْخَذُ فِيهِ خَرَجٌ)<sup>(15)</sup>، وروي في السنن: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ذَهَبَ إِلَى سُوقِ النَّبِيطِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: (لَيْسَ هَذَا لَكُمْ بِسُوقٍ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى سُوقٍ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: لَيْسَ هَذَا لَكَ بِسُوقٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى هَذَا السُّوقِ فَطَافَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: هَذَا سُوقُكُمْ، فَلَا يُتَّقَصَّنَ، وَلَا يُضْرَبَنَّ عَلَيْهِ خَرَجٌ)(15).

(15) تاريخ المدينة عمر بن شبة البصري (المتوفى: 262هـ) حققه: فهيم محمد شلتوت، جدة- ط1/ 1399 هـ، ج1/304، ووفاء: نفوتلا) يدوهمسلا هلالادبع نب يلع، نلفطصملا راد رانجأب ءافولا ط1، توريب - ةيملعل اب تكلال راد، (هـ2/911 ج، 1419 / 257.

فكان من فن إدارة الأزمة، التركيز على الهدف الرئيس، وعدم التورط في أحداث جانبية، لذلك نرى حكمة النبي صلى الله عليه وسلم في تجاهل فعل ابن الأشرف، لأنه حديث عهد في المدينة، ويريد تفويت الفرصة على من يريدون إثارة المشاكل، من يهود ومنافقين، والتركيز على الهدف الرئيس وهو معالجة الوضع الاقتصادي للمهاجرين بإيجاد سوق تجارية تتمتع بمعايير شرعية منضبطة.

ولأجل ضمان إدارة الأزمة (إرساء السوق)، لابد من تحديد القواعد والإجراءات التي ينبغي التعامل بها، لذلك نجد حرصه صلى الله عليه وسلم على توفير البيئة الملائمة لعمل السوق، وذلك من خلال:

– تحريم الاحتكار.

– توفير الحرية الاقتصادية للمتعاملين كافة، وإعفائهم من الرسوم.

– تحريم أساليب الغش والغرر وغيرها.

– توفير المعلومات كاملة عن السلع الموجودة في السوق.

– توحيد المكييل والموازين.

– تحريم التعامل الربوي<sup>(16)</sup>.

وبذلك تحققت عناصر استراتيجية حل الأزمة التجارية للمسلمين في المدينة، من خلال تأسيس السوق التجارية المستقلة، مع بيان أسس التعامل الشرعي فيه، وتقديم تسهيلات مشجعة للمتعاملين فيه.

رابعاً: عدم التعرض للمنافقين لمعالجة أزمة أمنية وإعلامية (مستمرة)

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ -رضي الله عنهما- قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُتَّبَعَةٌ» فَسَمِعَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي قَحْلَةَ فَقَالَ: قَدْ فَعَلُوهَا، وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، قَالَ عُمَرُ: دَعْنِي أَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «دَعُهُ، لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ» (17).

(16) ينظر: المنهج النبوي في إدارة الأزمات الاقتصادية والاجتماعية، د. أسامة عبد المجيد العاني، موقع

الاقتصاد الاسلامي، 2019 /2/11، بتصرف يسير

فقد راعى النبي -عليه الصلاة والسلام- الرأي العام لتجنب تطور أزمة تززع الوضع الداخلي، وتنفّر الناس عن الالتحاق بدولة المدينة؛ إذا أشيع بأن الرسول -عليه الصلاة والسلام- بدأ بقتل أصحابه دون تفصيل، أو قد يؤدي تصفية المنافين إلى اضطراب داخلي، يفوق قدرات الدولة وهي في المراحل الأولى لتكوينها، ولم يتحرر بعض زعماء المدينة الذين دخلوا الإسلام من العصبية، ففي حادثة الإفك التي خاض فيها رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول وآخرين، قام رسول الله -صلى الله عليه وسلم- على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو على المنبر: «يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل [ص: 2134] بيتي فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» فقام سعد بن معاذ الأنصاري، فقال: أنا أعذرك منه، يا رسول الله، إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك، قالت: فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً، ولكن اجتهلته الحمية، فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله، ولا تقدر على قتله فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ -، فقال لسعد بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتله فإنك منافق مجادل عن المنافقين فثار الحيان:

الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ، حَتَّى هُمُومًا أَنْ يَقْتَتِلُوا، وَرَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمَّ يَزَلُ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ (17).

كما أن التغاضي عن مشاكل كبير المنافقين فيه تأليف لقومه.

ومع ذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم على التذكير والتحذير غير المباشر ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة (المنافقون) في يوم الجمعة، لماذا؟ لأن المنافقون يصلون معه الجمعة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة تنزيل السجدة، وهل أتى على الإنسان حين من الدهر، وفي صلاة الجمعة بسورة الجمعة، وإذا جاءك المنافقون" (18). قال النووي: " والحكمة في قراءة سورة المنافقين لتوبيخ حاضريها منهم من المنافقين، وتنبههم على التوبة، وغير ذلك مما فيها من القواعد، لأنهم ما كانوا يجتمعون في مجلس أكثر من اجتماعهم فيها" (19).

(17) أخرجه البخاري، 173/3، حديث رقم 2661، ومسلم، 2129/4، حديث رقم (2770).

(18) أخرجه أبو داود: 1075، وصححه الألباني.

(19) شرح صحيح مسلم ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط2/ 1392: ج6/166.

## الخاتمة

من خلال دراسة إدارة النبي صلى الله عليه وسلم للأزمات التي واجهت المجتمع الاسلامي، يمكن أن نحدد أهم خصائص هذه الإدارة:

اعتمد النبي صلى الله عليه وسلم الأسلوب العلمي في إدارة الأزمات.

القيادة الناجحة والفاعلة هي من تتحمل مسؤولية إدارة الأزمة ولا تتهرب منها أو تلقيها على غيرها.

لكل أزمة اجراءاتها المناسبة لها، وهذا يتطلب تحديد الأزمة وتشخيصها من خلال العناصر الآتية:

جمع البيانات الصحيحة عن الأزمة

تحليل الأزمة وتداعياتها.

تحديد الإمكانيات والموارد المتاحة

وضع حلول لها وبدائل للحلول.

اختيار الحل المناسب للأزمة

## تدريب الأفراد والمجموعات

### متابعة تنفيذ الحل

تحويل الأزمة إلى مكسب وفرصة.

تميزت الإدارة العلمية باعتماد أربع مراحل وهي: مرحلة التخطيط - مرحلة التوجيه -  
مرحلة التنظيم - مرحلة السيطرة.

من عوامل نجاح إدارة الأزمات تحديد الآتي: (الاحتياجات المناسبة- الوقت المناسب-  
الأداء الجيد (القرارات والإجراءات).

استجمعت الإدارة العلمية ثلاثة أنواع من الإدارات للأزمات بحسب التعامل معها:

الإدارة الناجحة (التخطيط لمواجهة الأزمة والنجاح في التعامل معها وتوصيف الموقف قبل  
الأزمة واثنائها).

الإدارة الفعالة : الذي تتمثل في التنبؤ بالأزمة والتخطيط لها ومنع حدوثها.

الإدارة المستثمرة: التي تعالج الأزمة وتحولها إلى مكسب وفرصة.

## أهم التوصيات:

توظيف التأصيل الشرعي لإدارة أزمات الموارد البشرية في التخطيط العلمي لإدارة الأزمات.

توفير بيئة مناسبة لعقد ملتقى سنوي للعلماء العرب المغتربين يتم فيها مناقشة إحدى القضايا العلمية المتعلقة بالمغتربين أو للارتقاء بالحركة العلمية في الدول العربية .

عمل موسوعة للعلماء المغتربين الناطقين باللغة العربية لتعريف بهم وبجهودهم .

نوصي مراكز الدراسات ووسائل الإعلام بضرورة الاهتمام الإعلامي والبحثي بظاهرة اغتيال العقل العربي المبدع.

نوصي الجامعات العربية بتوظيف الهجرة العلمية، وتحويلها إلى مكسب واستقطاب العلماء المغتربين للارتقاء بالحركة العلمية في الدول العربية والإسلامية.

## طالب العلم دروس وعبر من السيرة النبوية

فرج مراجع فرج بن موسى

طالب ماجستير بجامعة السلطان إدريس باليزيا

### المقدمة:

سيرة رسول الله (ﷺ) ليست أحاديث رائعة من نسج الخيال، ولا هي قصص تسرد للأطفال، ولم تكن في يوم من الأيام قصص عابرة للتسلية، ولا لإضاعة الوقت وقتله، على العكس من ذلك، فهي سيرة طيبة جميلة تتعطر المجالس بذكرها، وترتاح النفوس والأرواح بسماعتها، وتشتاق العقول والقلوب لمحمد (ﷺ) وأصحابه (رضي الله عنهم)، فالسيرة النبوية هي طريقنا إلى الجنة، ونستحضر هذه السيرة العطرة ونربطها بطالب العلم؛ ونضع له الحلول التي تساهم في سلامته وحمايته من المخالفات والمغالطات والأخطاء التي حذرنا الله - عز وجل - منها.

فيا طالب العلم، اعلم بأن طلب العلم من علامة حب الله للعباد، فاجعل همك في كسب العلم وزيادة للحسنات يوم القيامة، واحرص على سلامة نفسك عند أول ليلة في القبر، واعلم بأن حياة البرزخ أول منازل الآخرة، وتذكر بأن العبور على الصراط يحتاج منا سرعة إنجاز الخيرات، قال تعالى ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ

بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿ (سورة المجادلة، الآية 11) ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿ (سورة آل عمران، الآية 31)

من مدرسة رسول الله (ﷺ) يتعلّم طالب العلم:

الصّدق والإخلاص:

على طالب العلم الحرص والاجتهاد في تحقيق الإخلاص لله سبحانه وتعالى، وأن يتجرد من حظوظ النّفس، وأن يتعد ويترك العمل من أجل السّمتة، حتى لا يقع في الرّياء - نعوذ بالله من ذلك الدّاء-.

يقول الجنيد: الإخلاص سر بين الله وبين العبد، لا يعلمه ملك فيكتبه ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله (ابن القيم الجوزية: مدارج السالكين، 2/95)، ويجب على طالب العلم الصّدق في قوله وعمله، وأن تتجسّد وتبرّز وتظهر أخلاق محمد (ﷺ) أمام عامة النّاس، لاسيما إذا كان مهاجراً في طلب العلم، فإنّه يُظهر تعاليم القرآن والسّنة أمام النّاس في الدّول الأوروية والغربية، فسيارة رسول الله نبراس لطالب العلم في كل زمن ومكان، ونقف عند هذا الحديث الذي يُظهر نتائج الصّدق في وقت البلاء والمحن، عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله (ﷺ) يقول: {انطلق ثلاث

نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى الغار، فدخلوه، فأنحدرت الصخرة من الجبل، فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله (ﷻ) بصالح أعمالكم.

قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلاً ولا مالاً، فنأى بي طلب الشجر يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما، فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يدي؛ أنتظر استيقاظهما؛ حتى برق الفجر؛ والصبية يتضاغون عند قدمي، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت تعلم ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرت شيئاً لا يستطيعون الخروج منه.

وقال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم، كانت أحب الناس إلي - وفي رواية: كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء - فأردتها على نفسها، فامتنعت مني، حتى ألت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومئة دينار؛ على أن تخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها - وفي رواية: فلما قعدت بين رجلها -؛ قالت: أتق الله، ولا تنقض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهي أحب الناس إلي، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن

كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة؛ غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها.

وقال الثالث: اللهم إني استأجرتُ أجراً، وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فتممّرتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبد الله أدِّ إليّ أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك؛ من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كلُّه، فاستاقه، فلم يترك منه شيئاً، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون (النووي: رياض الصالحين، ص 47-48-49)، وأنشدنا محمد بن أبي علي الأصبهاني قائلاً:  
(البغدادى: 1984، ص 38، 1985-39)

اعمل بعلمك تغنم أيها الرجلُ لا ينفَع العلم إن لم يحسُن العملُ

والعلم زين وتقوى الله زينتُهُ والمتقون لهم في علمهم سُغُلُ

وحجة الله يا ذا العلم بالغة لا المكر ينفَع فيها لا ولا الحيلُ

تعلم العلم واعمل ما استطعت به لا يلهينك عنه اللهو والجدل

وعلم الناس واقصد نفعهم أبداً وإياك إياك أن يعتادك الملل

وعظ أخاك برفق عند زلته فالعلم يعطف من يعتاده الزلل

وإن تكن بين قوم لا خلاق لهم فأمر عليهم بمعروف إذا جهلوا

فإن عصوك فراجعهم بلا ضجر واصبر ولا يجزئك ما فعلوا

فكل شاةٍ برجليها معلقة عليك نفسك إن جاروا وإن عدلوا

التواضع:

يجب أن يحرص طالب العلم على التواضع، وأن يتميز بهذه الصفة الحميدة، التي تظهر خفض الجناح للآخرين، فمهما تحصل طالب العلم على الإبداع والابتكار بالعلوم المختلفة، فسيبقى هناك من هو أفضل وأعلم وأقدر منه. وقدوتنا وأسوتنا محمد (ﷺ) فهو أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن التكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويحيب دعوة العبد، ويجلس في أصحابه كأحداهم (المباركفوري: الرحيق المختوم، ص 485)، قالت عائشة (رضي الله عنها): يخيط ثوبه، ويخسف نعله، ويعمل ما يعمل الرجال في بيوتهم (الألباني: 1988، 1/ 886)، فعلى طالب العلم أن يتأمل جيداً في أعماله وأفعاله

وأقوله، وأن ينظر بعين البصر والبصيرة بأنه سوف يصعد القمة ويقطف الثمار ويكون على قمة الهرم، فينبغي عليه أن يكون أداة بناء، ولا يتكبر على العباد، فكُلُّنا أبناء آدم عليه السلام وأدم من تراب.

قال موسى بن علي بن موسى:

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع  
ولا تك كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضع

وقال أحد الشعراء:

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته انظر خلاك فإن البين تريب  
لو فكر الناس فيما في بطونهم ما استشعر الكبر شبان ولا شيب

الأمل:

يعد التفاؤل والأمل والسعادة من الجوانب الإيجابية في الشخصية، تلك الجوانب التي يتناولها بالدراسة علم النفس الإيجابي، وذلك العلم الذي يهدف إلى اكتشاف مصادر القوة لدى شخصية الفرد، وتقويمها بما يساعده على تجاوز الصعاب التي تواجهه بها أحداث

الحياة، ومن ثم يساعده على تطوير شخصيته والتخلص مما يشويها من نقص وضعف، وازدهار حركة علم النفس الإيجابي ونموها في العصر الحديث؛ إنها تعكس الاهتمام العلمي بالعلاقة التي تربط القدرات الكامنة لدى الفرد، من أمل وتفاؤل وسعادة في تنمية الأفكار والانفعالات الإيجابية للفرد (جودة - أبو جراد: 2011، ص132)، وفي سيرة رسول الله دروس وعبر لكل طلاب العلم، ففي الهجرة النبوية ورسول الله (ﷺ) وصاحبه الصديق (رضي الله عنه) في صحراء مكة الشاسعة تبعهما سرقة بن مالك؛ حتى إذا وصل وأقرب منها عثرت به فرسه فسقط عنها، قال سراقه: حتى إذا سمعت قراءة رسول الله - وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفاف - ساخت يدا فرسي في الأرض، حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها، فناديتهم بالأمان (المباركفوري، 2007، ص168)، ورجع سرقة إلى مكة فجعل لا يلقى أحداً من الطلب إلا رده وهو يقول: كفيتم هذا الوجه! أصبح أول النهار جاهداً عليها، وأمسى آخره حارساً لها (الغزالي: 1965، ص176).

فأقول يا طالب العلم: جميعنا بوسعنا أن نتصر مهما قست علينا الظروف، فإن أعظم نجاحاتنا هي التي تأتي بعد الهزات والصدمات التي نتعرض لها، فأطيب الثمار لا تهطل من الأشجار إلا بعد أن نهزها بقوة، فالعمل الجاد والمخلص عندما يأتي مدفوعاً بألم وجراح يحقق نجاحاً، لا عين رأت ولا أذن سمعت، وجميعنا باستطاعتنا الفوز بلا استثناء، تتفاوت

الإمكانات بيننا بلا شك، ولكن جميع الناس فنانون بشكل أو بآخر، فلو كل واحد منا أدرك أين موهبته وعمل على تنميتها وصقلها لن نجد يائساً بجوارنا، حتى لو لم يملك أحدنا موهبة محددة باستطاعته أن يصبح ناجحاً إذا رغب في ذلك، وهذه الرغبة تتطلب جهداً وعزيمة وليس نوماً وابتكالية (الملغوث: 2012، ص108).

الرحمة:

الرحمة من الأخلاق والأسس الإسلامية، وهي رقة في القلب وحساسية في الضمير، وصدق في الشعور، تستهدف الرفق واللين والرفقة بالآخرين، والعطف عليهم، والتألم لهم، ومسح دموع أحزانهم وآلامهم، وهذا الخلق يعطي المؤمن الابتعاد عن فعل الإيذاء والجرائم؛ وبذلك يصبح مصدر خير وسلام للناس أجمعين (علوان: 1992، 1/ 360-361)، فعلى طالب العلم أن يكون رحيماً في هجرته لطلب العلم، مع أصدقائه ومع أستاذه، وحتى مع أهله وأقاربه وجيرانه.

الطائف دروس وعبر في فن الرحمة لطلاب العلم:

ففي إرهاصات الهجرة النبوية، وبالتحديد في شوال سنة عشر من النبوة - في أواخر مايو أو أوائل يونيو سنة 619م - خرج النبي (ﷺ) إلى الطائف وهي تبعد عن مكة نحو ستين

مياً، سارها ماشياً على قدميه، ومعه مولاه زيد بن حارثه، وكان كلما مر على قبيلة في الطريق دعاهم إلى الإسلام فلم تجب إليه واحدة منها، فلما انتهى إلى الطائف عمد ثلاثة إخوة من رؤساء ثقيف، وهم عبد اليل ومسعود وحبيب أبناء عمرو بن عمير الثقفي، فجلس إليهم ودعاهم إلى الله، وإلى نصره الإسلام، فقال أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة (أي يمزقها)، إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: أما وجد الله أحداً غيرك، وقال الثالث: والله لا أكلمك أبداً، إن كنت رسولاً لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي أن أكلمك، فقام عنهم رسول الله (ﷺ)، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فآكتموا عني، وأقام رسول الله (ﷺ) بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرفهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفاهم، فلما أراد الخروج تبعه سفاؤهم وعبيدهم، يسبونه ويصيحون به، حتى اجتمع عليه الناس، فوقفوا له صفين، وجعلوا يرمونه بالحجارة وبكلمات من السفه، ورجموا عراقبيه، حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه بنفسه، حتى أصابه شجاج في رأسه، ولم يزل به السفهاء كذلك حتى ألجأوه إلى حائط لعتبه وشيبة ابني ربيعة، على ثلاثة أميال من الطائف، فلما التجأ إليه رجعوا عنه، وأتى رسول الله (ﷺ) إلى حبله من عنب، فجلس تحت ظلها إلى جدار فلما جلس إليه

واطمأن، دعا بالدعاء المشهور، الذي يدل على امتلاء قلبه كآبة وحزناً مما لقي من الشدة،  
أسفاً على أنه لم يؤمن به أحد، قال:

"اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، يا أرحم الرحيم، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني؟ أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن بك علي غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك، أو يحل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله"

فلما رآه ابنا ربيعة تحركت له رحمهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً، يقال له عداس، وقالوا له: خذ قطفاً من هذا العنب واذهب به إلى هذا الرجل، فلما وضعه بين يدي رسول الله (ﷺ) مد يده إليه قائلاً: "باسم الله" ثم أكل، فقال عداس: إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد، فقال له رسول الله (ﷺ): من أي البلاد أنت؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، من أهل "نينوى"، فقال رسول الله (ﷺ) من قرية الرجل الصالح يونس بن متى عليه السلام، قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ قال رسول الله (ﷺ): ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي، فأكب عداس على رأس رسول الله (ﷺ) ويديه ورجليه يقبلها، فقال ابنا ربيعة أحدهما للآخر: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاء عداس قالوا له: ويحك ما هذا؟ قال: يا سيدي، ما في

الأرض شيء خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمرٍ لا يعلمه إلا نبي، قال له: ويحك يا عداس، لا يصرفك عن دينك، فإن دينك هو خير من دينه، ورجع رسول الله (ﷺ) من طريق مكة بعد خروجه من الحائط كثيراً مخزوناً كسير القلب، فلما بلغ قرن المنازل بعث الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشيين على أهل مكة، قال النبي (ﷺ) بل أرجو أن يخرج الله (ﷻ) من أصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، وفي هذا الجواب الذي أدلى به الرسول (ﷺ) تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من خلق عظيم، ثم تقدم رسول الله (ﷺ) نحو مكة حتى بلغ وادي نخلة، وأقام فيه أياماً، وخلال إقامته هناك بعث الله إليه نفرًا من الجن، فدخلوا في الإسلام.

فينبغي على طلاب العلم أن يعملوا بخلق الرحمة في كل زمان ومكان، وفي كل وقت وحين (مباركفوري: 2007، ص 125-126-127)، فمع ما فعله أهل الطائف مع رسول الله (ﷺ) إلا أن الله سخر له الجن، فدخلوا في الإسلام. وعلى طالب العلم العمل بالرحمة ولو أغلقت الأبواب في وجهه، فلا ييأس ولا يغضب، بل يجب عليه التواصل واللين والرفق مع أصدقائه طلاب العلم.

من اسمى وأجود وأكمل الصفات الطيبة والرائعة خلق الإيثار، فهذا الخلق يتلثم اللسان ويجف القلم وتمتلئ الكتب عند ذكره ووصفه، وعندما يقدمه طلاب العلم في الميادين والمجالات العلمية فإن له وقع على القلوب وأثر في النفوس، لا يمكن أن ينتهي ولا أن يختفي من العقول أبداً، فالإيثار عكس الشح، فيجب على طالب العلم أن يستفيد من الإيثار بإصلاح وقته وقلبه وحاله مع الله، وأن ينظر ويتأمل في كتب السير أثناء الهجرة النبوية وبأخذ منها الدروس والعبر، فقد صح عن رسول الله ﷺ لما هاجر أهل الإسلام للمدينة، أنه آخى بين عبد الرحمن وسعد بن الربيع، فقال لعبد الرحمن: إني أكثر الأنصار مالاً، فاقسم مالي نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي، أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، قال: بارك الله لك في أهلك ومالك، وأين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع، فما انقلب إلا ومعه فضل أقط وسمن، ثم تابع الغدو، ثم جاء وبه أثر صفرة، فقال النبي ﷺ: مهيم؟ قال: تزوجت، قال: كم سقت إليها؟ قال: نواة من ذهب (المباركفوري، 2007، ص 186)، فهذه السيرة الطيبة حدثت في هجرة الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، إيثار منقطع النظير، فلعل الله سبحانه وتعالى أن يوفق طلاب العلم في إبراز مثل تلك

الصفات الطيبة في التبادل العلمي، من أجل التطور والابتكار والإبداع العلمي، وقيل عن

الإيثار:

أُسْدٌ وَلَكِنْ يُوَثِّرُونَ بِزَادِهِمْ وَالْأُسْدُ لَيْسَ تَدِينُ بِالْإِيثَارِ

يَتَزَيَّنُ النَّادِي بِحَسَنِ وَجُوهِهِمْ كَتَزَيَّنَ الْهَالَاتُ بِالْأَقْمَارِ

وقيل:

الْمَالُ لِلرَّجُلِ الْكَرِيمِ ذَارِعٌ يَبْغِي بِهِنَ جَلَائِلَ الْأَخْطَارِ

وَالنَّاسُ شَتَى فِي الْخِلَالِ وَخَيْرُهُمْ مَنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ وَذَا إِيثَارِ

التمسك بالثواب الإسلامية:

المقصود بالثواب عدم التغيير والتبديل، وهي تمثل الأخلاق الحميدة، والثواب التي

لا يمكن أن تكون مجال مساومة أبداً، هي من تعاليم محمد (ﷺ) لا تحتمل تغييراً أو تأويلاً،

فعلى طالب العلم أن يتقي الله في غض بصره، وحفظ فرجه، وعلاقته مع طلاب العالم،

ونحن نتحدث عن كِلا الجنسين: شباب وشابات، وفتيان وفتيات، ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا

مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ

يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ﴿ (سورة النور: الآية 30-31)، وينبغي على طالب العلم أن يأمل جيداً بأنه هاجر من أجل العلم، وبطبيعة الحال هو ينظر إليه أغلب أفراد المجتمع، فيحرص أن يقدم الصورة الصحيحة للإسلام، ويظهر أخلاق هجرة رسول الله (ﷺ)، ويحرص على الفوز في الدارين، حتى يكون سعيداً في أول منازل الآخرة.

المعوقات التي توجه طالب العلم:

لا شك بأن طالب العلم يقدم الوقت والجهد في سبيل البحث العلمي، ولا بد أن ينتج عن ذلك العديد من المعوقات والصعوبات، وهي تتمثل في الآتي:

قلة الموارد المالية: وهذه من أكبر المشاكل وأعظمها، فيجب على الحكومات والدول أن تتبنى مشاريع استشارية لمساعدة طلاب العلم وبحوثهم العلمية.

الصحبة السيئة: للأصدقاء آثار كبيرة سواء كانت هذه التأثيرات سلبية أو إيجابية، وهنا ننصح طلاب العلم أن يحرصوا على اختيار الصحبة الطيبة، التي تعين على طلب العلم، وتشجع على البذل والعطاء، وتساهم في الإبداع والبحث العلمي.

ضعف المهمة: لا شك بأن عدم الاجتهاد، وضعف الإنجاز العلمي، من أهم المعوقات والمشاكل التي تسبب في تأخير طالب العلم.

الفتن والمعاصي: ينبغي على طالب العلم أن يتقي الله في كل صغيرة وكبيرة وفي كل واردة وشاردة، خصوصاً في مسألة غض البصر وحفظ الفرج، وأن يضع بين عينيه أن النظر لمحاسن الرجال أو النساء، للشباب أو الشابات و الفتيان و الفتيات بشهوة لها أضرار كبيرة على النفس والجسم في الدنيا ويوم القيامة، لاسيما المحرمات التي تصل إلى كل بيتٍ وغرفة نومٍ عبر الفضاء من خلال الإنترنت (السُّوشِيال ميديا)؛ فلهذه الوسائل الاجتماعية أضرار كبيرة في ضياع الأعمار واستنزاف الأوقات دون قراءة أو كتابة أو مشاركة في ندوات أو مؤتمرات علمية، فقد قال الإمام الشافعي:

"شكوت إلى وكيعٍ سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي، وأخبرني

بأن علم الله نور، ونور الله لا يهدى لعاصي".

## الإبداع العملي

أولاً: أسس الإبداع العلمي

الأسس التي لا بد من وجودها عند كل شخص مبدع، ولا يتصور وجود مبدع دونها، ومن هذه الأسس القوة العقلية، فلا بد من توفر هذه القدرة عند الإنسان المبدع، والعبقرية هي أعلى المستويات من القدرات العقلية المعرفية، وقد وضع علماء التربية مستويات

متدرجة للذكاء، تبدأ من المعتوه (أقل من 20 درجة) وتنتهي بالعبقري (أعلى 140 درجة) والعباقرة أيضاً لهم درجات، وأعلى درجة للعبقرية اكتشفت حتى الآن هي (300 درجة)، وأيضاً من الأسس الإبداع العلمي القوة النفسية، فلا بد أن يتصف المبدع بقوة النفس العلمية والعملية، والمراد بها: قوة الثبات والإرادة والتصميم والمثابرة والتزوع إلى الكمال، وكذلك من أسس الإبداع العلمي القوة الجسدية والمقصود بها الطاقة الحيوية والنشاط المتدفق الذي هو شعلة الإبداع ووقود أتونه، حتى وإن كان صاحبها لطيف الجسم، نحيل البدن، فإن هذا ليس مقياساً للطاقة والحوية والنشاط (القرني: 2007، ص 37-43-52)، بل ربما كان العكس هو الصحيح كما قال بعضهم:

تراه من الذكاء نحيف جسمٍ عليه من توقده دليل

إذا كان الفتى ضخم المعالي فليس يضره الجسم النحيل!

ثانياً: أهمية الإبداع العلمي

يساهم الإبداع العلمي في تطور المجتمعات إلى الأفضل

صقل المهارات وتنظيم الطاقات مما يساهم في جعل حياة المفكرين والمبدعين أفضل

يساهم الإبداع العلمي في حل المشاكل المختلفة في أي دولة من الدول.

يتميز الإبداع بالتعاون والتعارف بين علماء البلد الواحد

ثالثاً: صفات تدل على موهبة الإبداع العلمي

القدرة على الحوار والتعامل بثقة في المؤتمرات والندوات العلمية

الموهبة في تقديم المقترحات والأفكار المقنعة

العمل على تحقيق الأهداف المحمودة، والاجتهاد بالوصول إليها

رابعاً: أسباب نجاح الإبداع العلمي

لا بد من عنصر التجديد، والاهتمام بموضوع الفكرة، لاستقطاب عدد كبير من الناس

الإثارة والتجديد فعندما يشعر الجمهور العلمي الذي ينتظر المادة أو الفكرة العلمية بأنهم

اكتشفوا شيئاً جديداً، من هنا تبدأ عملية الإثارة وستبدأ الناس بالحديث عنك لأناس

آخرون، وهكذا ينتشر الابتكار والإبداع العلمي

استثمار المقدرة الطبيعية بحيث تكون قدوة للآخرين، وتقديم مستوى رائع وصحيح لتحقيق الأهداف والنتائج.

## الخاتمة:

عندما نتأمل في هجرة رسول الله (ﷺ) نعرف بأنها دروس وعبر في مختلف المجالات خصوصاً لطلاب العلم، فلنحرص على سلامة أروحنا وأجسادنا بتعاليم القرآن ودروس الهجرة النبوية، بالتواضع والرحمة والأمل والتفاؤل والالتزام بالثوابت الإسلامية، حتى تكون لنا بصمة على ظهر هذه الأرض، تستمر بإذن الله وتساهم في الإبداع والتطور العلمي، والابتعاد عن المعوقات التي توجهه طالب العلم، من حيث الصحة السيئة، وضعف الهمة، وأيضاً الابتعاد عن الذنوب والمعاصي، كما تعتبر أهمية الإبداع العلمي كبيرة جداً، فهي تساهم في تطور المجتمعات إلى الأفضل، فينبغي علينا الأخذ بأسباب الإبداع العلمي بالبحث عن الأفكار الجيدة، لاستقطاب شريحة كبيرة من الناس والتأثير فيهم من خلال الإبداع والابتكار العلمي.

## قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

ابن القيم الجوزية، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب، د.ت، مدارج السالكين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت.

النووي، محيي الدين يحيى بن شرف، 2001، رياض الصالحين، تحقيق علي حسين بن علي بن عبد الحميد الحلبي الأثري، ط1، دار ابن الجوزي، الرياض.

الألباني، محمد ناصر، 1988، صحيح الجامع الصغير وزيادته، ط3، المجلد الأول، المكتب الإسلامي، بيروت.

المباركفوري، صفى الرحمن، 2007، الرحيق المختوم، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة.

جودة، أمال - أبو جراد، حمدي، 2011، التنبؤ بالسعادة في ضوء الأمل والتفاؤل لدى عينة من طلبة جامعة القدس المفتوحة، مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات،

ع24.

الغزالي، محمد، 1965، فقه السيرة، ط6، دار الكتب الحديثة، د.م.

علوان، عبد الله ناصح، تربية الأولاد في الإسلام، ط9، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، د.م، ج1.

القرني، أحمد بن علي، 2007، الإبداع العلمي، ط1، دار عالم الفوائد، مكة.

البغدادي، الخطيب، 1985، اقتضاء العلم العمل، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط5، المكتب الإسلامي، بيروت.

المغلوث، عبد الله، 2012، تغريدة في السعادة والتفاؤل والأمل، ط1، مدارك للنشر، بيروت.

## الهجرة العلمية بين المصالح والمفاسد.

ورقة علمية من تقديم الأستاذة: خضرة حديدان.

أستاذ محاضر (أ) بجامعة العربي التبسي -تبسة - الجزائر -

### مقدمة

تطور العالم الغربي وتسارعت وتيرة تطوره ، وازداد ابتعاد الدول العربية والإسلامية عنه بسنوات ضوئية، مما جعلها بعيدة كل البعد عن كل ماهو جديد ، عاجزة عن تلبية حاجات العقول المفكرة، التي وجدت نفسها بين نارين : نار الوفاء للوطن والانتفاء إليه، وعجز هذا الأخير عن إشباع النهم العلمي لدى هؤلاء، وعدم القدرة على مسايرة احتياجاتهم المختلفة. من هنا بدأت ظاهرة هجرة الأدمغة العربية وهجرانها لأوطانها ، ا بحثا عن بيئة علمية حاضنة تضمن إنتاجا علميا ومناخا يسمح بتفتح مواهبهم واحتواء إبداعهم والتكفل باختراعاتهم وأفكارهم الإبداعية.

غير أن الخروج من الوطن والانتقال إلى عوالم أخرى غريبة عن الدبن وبعيدة كل البعد عن العادات والتقاليد، قد يكون مفيدا لهؤلاء المهاجرين الطالبين اللجوء لعقولهم من

الناحية المادية، لكنه يحمل في طياته آثاراً اجتماعية واقتصادية وعلمية سلبية على هؤلاء ،  
وعلى وبلدانهم الأصلية.

فماهي الفوائد التي يمكن الحصول عليها من الهجرة العلمية، وماهي مفسدها؟.

### أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة الحالية إلى:

- التعرف على مقاصد الهجرة العلمية.

- التعرف على مفسد الهجرة العلمية.

### أهمية الدراسة:

تنبثق أهمية الدراسة الحالية، من أهمية العقول المفكرة التي تهاجر وتفر من أوطانها (طاقات  
مهدورة).

وكذا من فقدان للرأس المال البشري المتخصص (التميز)، وهو رأس مال بإمكانه إحداث  
الفرق وعليه تتركز نهضة الأمم وازدهارها..

تحديد المفاهيم:

1- الهجرة العلمية: هي مغادرة الباحثين والمفكرين دولتهم الأم، والتي تنعت بأنها (متخلفة) إلى دول تنعت نفسها بأنها (متطورة).

2- أنواعها:

الهجرة العلمية نوعان :

1- هجرة فعلية يترك فيها الباحث أو المفكر بلده ويغادر حدوده بحثاً عن بيئة علمية داعمة.

2- هجرة فكرية؛ يبقى بمقتضاها المفكر في بلده، ولكنه يعتزل الأنماط السلوكية السائدة، وأساليب التفكير التي يرى بأنها تجاوز المنطق وتحميد عن العقل. (يعيش معهم بجسده لا بعقله). وتعجز عن مسايرة تطلعاته و مستوى طموحه، مع شعور دائم بالاغتراب.

مع العلم أن الهجرة الفكرية هي مشروع هجرة فعلية إذا سنحت الفرصة.

أولاً: مصالِح الهجرة العلمية: يقصد بمصالح الهجرة العلمية ، تلك الفوائد التي يحققها

الباحث عندما يهاجر من وطنه إلى دولة أخرى، و تتمثل هذه المصالح في:

1-1: الحصول على بيئة علمية داعمة:

تتوفر في الدول المتطورة مخابر بحثية عالية التقنية بها أحدث الوسائل في العالم، بأدوات وأجهزة غاية في الحساسية و الدقة ، لا مثيل لها في الدولة الأم، مما يتيح للباحث فرصة دائمة للبحث والتجريب.

### 1-2- توفير حياة مادية مريحة:

توفر الهجرة العلمية إلى الدول المتطورة فرصة ذهبية للحصول على حياة جديدة بمراتب مغرية، وسكن مريح وسيارة فخمة ورصيد معتبر في البنك، أو كما عبر عنها السراج بتوفير حوافز في الأجور وأنظمة الترقية والفرص المتاحة(السراج ، 2016 ، ص6).

هذا وتوفر هذه الدول تسهيلات وإغراءات لافتة للانتباه للحصول على الجنسية دون شروط.

### 1-3- مساندة علمية من طرف العلماء والباحثين:

يوفر العالم المتطور بيئة داعمة: وشراكة علمية تضمن: مشاركة العلماء لبعضهم البعض وتبادل الأفكار والخبرات، وتيسر السبل لإنشاء الجامعات البحثية وفرق البحث المختلفة: كما أن وجود هؤلاء العلماء يمكن أن يساند الباحثين من ناحية ، ويوفر مجالا عريضا للمنافسة الشريفة من ناحية أخرى: فالعالم المتطور في تحد دائم ، وسباق مع الزمن، لا يفوز فيه إلا

أولئك الذين يثبتون كفاءتهم وجدارتهم مع أقرانهم في نفس التخصص أو التخصصات المقاربة.

#### 1-4-: تحديات مرضية ومحفة لعقل الباحث:

يبقى عقل الباحث في ظل الدول المتطورة، وما توفره من ظروف متيقظا وفي كامل الاستعداد: فالبيئة محفة، والمناخ مواتٍ والباحث متفرغ لعلمه، لا تثقل كاهله المنغصات اليومية: كالتفكير في السكن، أو مستقبل الأبناء، أو غيرها من الحاجات المادية التي كانت تؤرقه في وطنه الأصلي.

كما أن البقاء في ظل هذه الظروف؛ لمن يبحث أكثر ويقدم الأفضل: فلا مجال للكسل والخنوع وهذا ما يستفز عقل الباحث ويجعله في حالة استنفار قصوى.

#### 1-5- اكتشاف عوالم مختلفة واكتساب مهارات جديدة

تتيح الهجرة العلمية فرصة ذهبية للتعرف على مجتمعات مغايرة، وكذا اكتساب مهارات جديدة: لغات حية، أنماط ثقافية مغايرة، كيف يعيش الناس خارج عوالمنا؟ كيف يتصرفون؟، مهاراتهم في إدارة الوقت، تقديسهم لأوطانهم ووفائهم لها..

كما تجعل الباحث يقيم مقارنات بين ما يعيشه في وطنه العربي، وما يكتشفه في العوالم المتقدمة، وتكون هذه المقارنات عادة في صالح الدول المستقبلية، مثل احترامهم للعمل ، وإتقانهم له، كما لو أنهم يمثلون لقوله صلى الله عليه وسلم : (ان الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه).

وحبهم لأوطانهم وإخلاصهم لها، كما لو أنهم يعرفون معنى (حب الوطن من الإيمان).

#### 1-6-الحصول على مكانة عالمية وصيت ذائع:

تنجح دول العالم المتقدم- بحكم مكانتها وتطورها- في التسويق لعلمائها، سواء كانوا من أبنائها أو من الوافدين إليها، وإذا كان الباحثون العرب يعانون من التهميش والحرمان في أوطانهم؛ فان الدول المتطورة تحلّد أسماءهم على صفحات المشاهير، الذين يدخلون إلى التاريخ من بابه المشرق.

ولم يكن اسم (فاروق الباز) ليلمع لا في سماء مصر ولا في سماء العالم العربي، لو لم يغادر وطنه، ولكنه سجل اسمه عالمياً: كعالم فضاء مصري أمريكي، عمل مع وكالة ناسا، للمساعدة في تخطيط الاستكشاف العلمي للقمر و.حصل على جوائز عدة: جائزة الإنجاز

لأبوللو التابعة لناسا، وميدالية الإنجاز العلمي الاستثنائية.. وغيرها من الإنجازات  
والمكاسب التي ساعدته أمريكا على جعلها عالمية وذات صيت ذائع.

كما أن مجدي يعقوب، لمع نجمه كأحد أمهر الجراحين في العالم؛ لأن هجرته إلى بريطانيا  
فتحت أمامه آفاقا واسعة لا حدود لها.

### ثانيا: مفسد الهجرة العلمية:

قبل الحديث عن مفسد الهجرة العلمية، لا بد من ذكر بعض الإحصاءات التي يمكن أن  
تعكس ما خسر العلم العربي، وما زال يخسره بسبب هذه الظاهرة.

الكفاءات العربية المهاجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية في الفترة من 1962-1976

العدد:	البلد:
7260	مصر:
5640	لبنان
2710	الأردن وفلسطين:
2140	سورية :
1900	العراق:
470	المغرب:

320	ليبيا:
2655	بلدان أخرى:
23095	المجموع:

(أحمد.2016.ص 26)

يتبين من قراءة الجدول السابق ما يلي :

تأتي مصر في مقدمة الدول المصدرة للعقول : حيث بلغت نسبة العلماء الذين غادروها إلى الولايات المتحدة الأمريكية في أربعة عشر سنة 7260 باحثا، بين طبيب ومهندس وفي مجالات مختلفة .

ثم تأتي لبنان والأردن وفلسطين، وغيرها من الدول العربية التي استنزفت طاقاتها وآتت أكلها، واستفادت منه الولايات المتحدة الأمريكية جاهزا ودون عناء.

وهذه الإحصاءات مرتفعة جدا؛ تجعل العقول البشرية المميزة تتمركز في اتجاه أحادي: من الدول العربية الإسلامية نحو الولايات المتحدة الأمريكية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الإحصاءات ليست شاملة ، إذ هناك العديد من الدول التي توجد بها كفاءات عربية غير مشمولة في إحصاءات الكفاءات العلمية، مثل أمريكا الجنوبية، وأوروبا الشرقية ونيوزلندا...، وقد يعود السبب؛ إلى بعد معظم هذه الدول عن الدرجات العليا في سلم التطور، لكن هذا لا ينفي أهمية الأدمغة العربية المتواجدة فيها(احمد، 2006، ص60).

إحصاءات الكفاءات المصرية خارج الوطن

الدولة:	عدد الكفاءات:
أمريكا:	320

110.	كندا:
90	ايطاليا:
70	أستراليا:
60	اليونان:
35	بريطانيا:
40	هولندا:
36	فرنسا:

(عبد السلام نوير، إحصاءات 2009).

تبين القراءة المتأنية للجدول حجم الاستنزاف البشري الذي تعرضت - وما زالت تتعرض - له مصر: فهو نزيه بشري من النوع الحاد، الذي يكشف حجم الخسائر التي تتعرض لها هذه الجمهورية، بفقدائها لعقول مفكرة استثمرت فيها ملايين الدولارات لكن فوائدها كانت من نصيب الدول المتطورة.

هذه إحصاءات خاصة بدولة واحدة من دول العالم العربي، وما تفقده من كفاءات كل سنة، فما بالك إذا كانت هذه الخسارة شاملة لجميع الدول العربية و تقاس بملايين الدولارات وبآلاف السنوات الضوئية التي تفصلها عن التطور.

وعلى غرار الجمهورية المصرية، تدفع الدول العربية المختلفة عقولها المفكرة قربانا للدول المتطورة وفق الإحصاءات التالية:

فلقد هاجر من العراق 7350 عالما من مختلف التخصصات في الفترة الممتدة من 1991 إلى 1998.

كما بلغت العقول الجزائرية المهاجرة في الفترة الممتدة بين 1996 و2012 نصف مليون شخص، 90% منهم هاجروا إلى فرنسا.

ومن الكفاءات والعقول المهاجرة من الدول النامية عرب . كما بينت الإحصاءات أن 50 % من الأطباء، و23% من المهندسين، و15% من العلماء من مجموع الكفاءات العربية يهاجرون إلى دول أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا.

وعبر ( ظريف ) في حديثه عن هجرة الأدمغة الجزائرية؛ بأنها خصم من الرصيد الفكري للجزائر وقدراتها البشرية (ظريف، 2017، ص126)، وهي فعلا خصم غير قابل للتعويض وخسائره من أكثر الخسائر فداحة.

ومما سبق يمكن التعرف على المفاصد المترتبة عن الهجرة العلمية

بعد عرض الأرقام الهائلة، يتبين حجم النزيف البشري الكفؤ إلى دول العالم المتطور، مما ينجر عنه نوعين من المفاصد: أحدهما على مستوى الدول، والآخر على مستوى الأفراد.

أ- على مستوى الدول:

1-2: ازدياد الفجوة بين الدول العربية والدول المتطورة:

فالهجرة العلمية هي المسؤولة عن تركز الرأسمال البشري المتخصص في اتجاه واحد ولصالح الدول المتطورة، فيزداد الأغنياء غنى، والفقراء فقرا.

وقد استطاعت بعض الدول الأوروبية في بداية القرن العشرين ، ثم الولايات المتحدة الأمريكية وكندا؛ توظيف الهجرة العلمية بما يخدم أهدافها ، مستفيدة من النبوغ الفكري الذهني لهذه الفئة.(الندوي،2007،ص1).

2-2- ضعف الإنتاج العلمي في الدول المصدرة للعقول، وتطوره في الدول المستقبلية:

إن تركز الكفاءات في الدول المستقبلية الماصة للعقل البشري؛ يجعل إنتاجها العلمي يتضاعف ويتعمق، على حساب الدول العربية المصدرة لهذه الكفاءات، والتي تبقى رهينة التخلف العلمي.

كما تمثل هجرة العقول استنزافا لشريحة فاعلة في المجتمع العربي (الأسرج، 2016 ص10)،

إن هذا النزيف الدائم؛ يحرم البلاد الأم من الانتقال إلى مجتمع المعرفة وإنتاجها، والمحافظة على مظاهر التخلف في جميع صورته(مرزوق، 2010 ، ص15).

2-3: تجريف العقل العربي المفكر: إن النزيف المستمر للعقل إلى دول العالم المتطور؛ ولد أزمة معرفية حادة(حوالي 60٪ ممن درسوا في الولايات المتحدة الأمريكية خلال الثلاثين عاما المنصرمة لم يعودوا إلى بلادهم، وكذا 50٪ ممن درسوا في فرنسا لم يعودوا لبلادهم

أيضا)، وهذا في حد ذاته خسارة عظيمة للدول الأم؛ حيث تكيف كثير من طالبي العلم مع الحياة في الدول الغربية، إلى درجة الزواج من الأجنيات والإنجاب منهن، وبالتالي عدم قدرتهم أو استعدادهم للعودة للبلد الأصلي مرة ثانية (الندوي، 2007، ص3).

## 2-4- نكران لجميل الدولة الأم

إن الدول العربية وغيرها من الدول المصدرة للأدمغة، صرفت أموالا طائلة، ثم ضاع منها هذا الرأس مال البشري، وهي خسارة لا تقدر بثمن. ولقد عبر بعض الباحثين عن هذه الخسارة ب : الفاقد من الاستثمارات في التعليم، والتي هي تلك الخسارة التي تتحملها الدول المصدرة التي ضاعت استثماراتها لعدد من السنين، وتحولت إلى إنتاجية، وفوائد مادية تتحصل عليها الدول المستقبلية مجاناً، دون سابق استثمار (بوقال وعطيوي ، 2016 ، ص17).

## 2-5- فرص جديدة ومستمرة للدول المستقبلية للمحافظة على الريادة العلمية

إن هذا النزيف هو سبب رئيس -وسيبقى كذلك- في محافظة الدول المتطورة على الريادة العلمية، و التربع على المراتب الأولى في جميع المجالات التقنية، الاقتصادية وحتى الاجتماعية.

## 2-6- استغلال الأدمغة من طرف الدول المستقبلية

يبقى الباحث محل استغلال واستنزاف، من طرف الدول المستقبلية التي وفرت له كل الظروف وتطالبه في المقابل بنتيجة ملموسة، فلا وقت للراحة، ولا للمرض، أو التراجع. فلو حدث أن هذا الباحث فتر أو انحرف عن المسار الذي ترسمه له هذه الدول، يمكن أن يتعرض لعقوبات فهو يبقى دوما مواطناً من الدرجة الثانية، ويعمل بشروط الدولة التي توظفه وتستثمر فيه.

ب- مفاصد الهجرة العلمية على مستوى الفرد

أما على مستوى الفرد فيمكن الحديث عن المفاصد الآتية:

- الشعور بالغربة:

تستطيع الدول المستقبلية أن توفر حياة مادية مثالية للإطارات المهاجرة، لكنها تعجز عن أن تضمن لهم وطناً يشعرون نحوه بالانتماء والأمان كما تعجز عن ملء ذلك الفراغ الناشئ عن الغربة، فغربة الأوطان والشوق إلى تفاصيل الحياة في ربوعه لا يعوضها شيء.

## 2- الانخراط في ثقافات غربية مخالفة لمبادئ الفرد:

إنَّ ترك الأوطان والانغماس في مجتمعات مغايرة قد يؤدي إلى الانسلاخ الثقافي الذي ينجم عنه ميلاد جيل لا يعرف أصوله، بعيد عن هويته ودينه ولغته، يجهل تاريخ أجداده، وقد يكتسب قيما معادية لهم، محاربة لجذورهم، مستأصلة لها، وقد يستخدمون هم أنفسهم كمعاول هدم لما بناه أجدادهم من قيم، وما حققوه من مكاسب منذ عصور غابرة.

## 3- احتمالات الإقصاء واللاعادلة الاجتماعية:

يبقى الأشخاص الوافدون إلى الدول المتحضرة غرباء، يزامون المواطنين الأصليين في وطنهم، وفي ظل الأزمات والتحديات يشار إليهم بالأصابع، على أنهم المسؤولون عن عدم الاستقرار الذي يسود هذه الدول، أو الاضطرابات التي يمرون بها.

## 4- الصراع:

ينجم عن الهجرة العلمية، نوع من الصراع الخاص لدى المهاجر، قد يكون صراع قادم بين قيم تربي عليها وتشربها منذ نعومة أظافره، وبنيت على أساسها منظومته الأخلاقية أول ما بنيت، وقيم جديدة يعيش بها وسط مجتمع يتقاسم معه تفاصيل الحياة اليومية، ويفرض عليه الذوبان فيه.

و يبقى دوما يتساءل: هل أنا العربي المسلم صاحب الرسالة؟، أم أنا الأمريكي الذي اشترى الجنسية الأمريكية أو المواطنة الكندية بمجهوده الذهني وإنتاجه العلمي؛ تاركا وطنه وأمتة يواجهان التخلف والحرمان دون مد يد المساعدة؟.

من خلال ما سبق، وبين المصالح والمفاسد الناجمة عن الهجرة العلمية ، نشأت هوة سحيقة عند علماء وباحثين أنكرتهم بلدانهم الأصلية، واحتضنتهم دول تحسن الاستثمار في رأس المال البشري بمهارة عالية، وبين أنظمة لا تحسن الحفاظ على ثرواتها البشرية بل تدفع بها نحو المغادرة بلا رجعة.

التوصيات: لتجنب استفحال ظاهرة هجرة الأدمغة، ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه، يمكن صياغة التوصيات التالية:

- 1- الاهتمام بالكفاءات وتوفير كل الظروف المناسبة للإبداع..
- 2- رعاية التميز بإنشاء وحدات ونوادي حاضنة له.
- 3- الالتجاء إلى مجموعات بحثية من ثقافات مقاربة.

4-المحافظة على العلاقات بالعقول المهاجرة واستضافتها دوريا في منتديات ومؤتمرات بحثية.

5-القضاء على ظاهرة الإقصاء ومحاربة التمييز التي تنتشر بقوة في العالم العربي.

6-فسح مجال أوسع للبحث العلمي، وضمان مساحة لحرية البحث والابتكار.

### قائمة المراجع:

1-عزت السيد احمد(2016).نزيف العقل العربي.العالم العربي

2-بوقال نسيم وعطيوي سميرة(2016). هجرة الكفاءات : التحول من مفهوم استنزاف العقول إلى مفهوم الكسب المشترك. مجلة دراسات اقتصادية. جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري. العدد رقم3-2016

3-شاكر ظريف(2017).هجرة الكفاءات الجزائرية إلى الخارج(1991-2015)مجلة عمران: العدد21/6 صيف2017

4-نبيل مرزوق(2010).هجرة الكفاءات وأثرها على التنمية الاقتصادية.جمعية العلوم الاقتصادية السورية. ندوة الثلاثاء الاقتصادية الثالثة والعشرون.دمشق 27-4-2010.

5- حسين عبد المطلب الاسرج ((2016)). هجرة الكفاءات العربية، متاح على

<https://mpira.ub.uni-muenchen.de/74220/>

6- هجرة العقول العربية: خضير عباس الندوي. جامعة الفارابي. جانفي 2007

-[https://alfikhir.blogspot.com/2011/02/blog-post\\_12.html](https://alfikhir.blogspot.com/2011/02/blog-post_12.html)

7- عبد السلام نوير: حوار مع همام سرحان: 15 أكتوبر 2009. على 8:54

Swissinfo.ch

## هجرات شخصيات بارزة سعيًا في طلب العلم

الاسم الكامل: حفيضة العمريني

الدرجة العلمية: طالبة باحثة بسلك الدكتوراه

### مقدمة

نورد هذه الورقة في إطار التذكير بأهمية الهجرة في طلب العلم، والتذكير بشخصيات علمية بارزة، عرفها التاريخ وشهد لها بمحبتها للعلم، وشغفها به، متجاوزة ما قاسته من صعاب من أجل بلوغه، محاولة أن أكشف عن طريققتها في سلك سبل العلم والمعرفة، ومواجهة مشاق التنقل وصعابه، مرتضية في ذلك وجه الله تعالى، ومتناسية ما نهانا الرسول صلى الله عليه وسلم من تعريض أنفسنا لما لا نستطيع تحمله من البلاء، مصداقًا لقوله صلى الله عليه وسلم: "لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه"، قالوا: "وكيف يذل نفسه؟" قال: "يتعرض من البلاء لما لا يطيق". رواه الترمذي وغيره وصححه الألباني.

إذن ما معنى الهجرة؟ وما أهمية السفر في طلب العلم؟ وما المشاق التي تعترض العلماء الذين اختاروا طريق الهجرات في سبيل طلب العلم؟

وبهذا سنعرّف في هذه الورقة في محورها الأول؛ الهجرة لغة واصطلاحاً، وستحدث في محور ثان عن أهمية الهجرة في طلب العلم، وسنتقف في محور ثالث للحديث عند بعض الأعلام العلمية، التي ركبت صعاب الهجرات في سبيل العلم والتعلم.

### تعريف الهجرة

لغة: اشتق لفظ الهجرة من لفظ هجر أي تباعد، وكلمة هاجر؛ تعني ترك مكان الإقامة أو الموطن الأصلي، والانتقال للعيش في بلد آخر. ولفظ هجر ضد الوصل، هجرت الشيء هجراً أي تركته وغضضت الطرف عنه، والهجرة هي انتقال الناس من موطن إلى آخر.

وجاء في معجم لاروس الأساسي، أن تعبير الهجرة يقصد به خروج من أرض إلى أخرى سعياً وراء الرزق. وهي خروج الفرد من أرض وانتقاله إلى أرض أخرى بهدف الحصول على الأمان والرزق، أو هي انتقال المرء من بلده الأصلي أو مسقط رأسه إلى بلدٍ آخر، ليس مواطناً فيه ليعيش فيه بصفةٍ دائمة<sup>20</sup>.

---

<sup>20</sup> . معجم المعاني الجامع، معجم عربي عربي.

وقد ورد عن ابن فارس أنّ الهاء، والجيم، والراء أصلان، أحدهما يدل على شدّ شيءٍ أو ربطه، أمّا الآخر فيدل على القَطْع أو القطيعة، وهي عكس الوَصْل.<sup>21</sup>

كما ورد عن ابن منظور أنّ الهجرة لغةٌ: هي الخروج من أرضٍ لأرضٍ، ويمكن القول: إنّ الهجرة في اللغة لم تقتصر على معنى واحد، وإنما تشتمل على عدّة معانٍ؛ فالهجرة بمعنى المفارقة والقطع، وهي عكس الوَصْل، وتعني مفارقة الشخص لغيره باللسان أو القلب أو البدن، وقد كان أصل الهجرة عند العرب في خروج البدو من البادية مُتّجهين نحو المُدن، بحثاً عن الرزق.<sup>22</sup>

اصطلاحاً:

23.

•••

<sup>21</sup>. حمد جاسم عيد، أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية، صفحة 95.

<sup>22</sup>. معجم لسان العرب لابن منظور

<sup>23</sup>. عبد الله يوسف أبو عليان، الهجرة إلى غير بلاد المسلمين، حكمها وأثارها المعاصرة في الشريعة الإسلامية الشريعة الإسلامية، ص 16-20.

## أهمية الهجرة في طلب العلم

يدعونا ديننا الحنيف إلى طلب العلم في مواضع كثيرة في القرآن والسنة، ففي القرآن ورد قوله تعالى: "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ" (المجادلة الآية 11)، وقوله تعالى: "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون" (الزمر الآية 9)، فديننا العظيم يحثنا على طلب العلم، ودليله أن أول الآيات التي نزلت على خير البرية سيدنا محمد -عليه أفضل الصلوات- "اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم" (العلق الآيتين 1-5)، وتعد أول صحيحة تسمو بقدر القلم، وتنوه بقيمة العلم، وتجعل اللبنة الأولى في بناء كل إنسان أن يقرأ ويتعلم، وسما الله -عز وجل- بدرجات العلماء حتى قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته، والإقرار بعدالته "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط، لا إله إلا هو العزيز الحكيم" (آل عمران الآية 18).

والعلم الذي يقبل المسلم عليه، ويستفتح أبوابه بقوة، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب، ليس علما معينا محدود البداية والنهاية. فكل ما يوسع منادح النظر، ويزيح السدود أمام العقل النهم إلى المزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود، ويفتح

له آمادا أبعد من الكشف والإدراك، ذلك كله ينبغي التطلع له والتضلع فيه ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه.

وعندما نوه القرآن الكريم بفضل العلم وجلال العملاء إنما عنى العلماء الذين يعرفون عظمة الخالق من عظمة الخلق، وإنما عنى العلم الذي ينشأ من النظر في النبات والحيوان وشؤون الطبيعة الأخرى. قال تعالى: " ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور" (فاطر الآية 27-28).<sup>24</sup>

وفي الحديث النبوي الشريف جاء في قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له".

وفي هذا كله إشارة إلى أهمية العلم وفضل السعي وراء طلبه.

3. هجرة موسى -عليه السلام- وسفره لطلب العلم

<sup>24</sup>. الاتحاد الإسلامي العالمي العدد 32، خلق المسلم، ص 364.

هاجر موسى عليه السلام لطلب العلم؛ بعد أن داهمه رجل من بني إسرائيل بالسؤال التالي: هل تعلم بوجود أحد أعلم منك يا موسى؟ فأجابه موسى بالنفي ظاناً منه أنه أعلم الناس، فأوحى الله إلى موسى بوجود من هو أعلم منه، وهو رجل يدعى الخضر، فلم يتردد موسى في السفر لملاقاة الرجل العالم والاستفادة من علمه وقد تم تفصيل أحداث هذه القصة في القرآن الكريم.

إلا أنه لا بأس من استرجاعها فقد هجر موسى موطنه مقتنيا أثر الخضر الرجل العالم لتحصيل ثلاث مسائل تتمثل في:

المسألة الأولى: "أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً" (الكهف الآية 79) وتفسير هذه الآية مما غفل موسى عن فهمه ومما خفيت عليه حكمته أن هذه السفينة ملك بعض المساكين يعملون بها، ويعيش بين ظهرانهم ملك ظالم يأخذ غصبا كل سفينة لا عيب فيها، ولذلك أحدث الخضر في هذه السفينة عيباً، حتى لا يطمع فيها هذا الملك الظالم ويتركها لعييبها.

المسألة الثانية: "وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا" (الكهف الآية 80) ورد أن الغلام الوارد في الآية كتب كافراً منذ يوم ولادته، وكان أبواه مؤمنين،

فخشي الخضر عليها فلو بقي حيا لكان فيه هلاكهما، وعلل الخضر قتله بقوله: " فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِيَهُمَا رُحْمَآهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا" (الكهف الآية 81) أي يرزقهما الله غلاما أفضل وأزكى من الأول.

المسألة الثالثة: "وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف الآية 82)، أصلح الخضر الجدار لتواجد كنز تحته يعود لغلامين يتيمين في المدينة، فلو سقط الجدار لظهر هذا الكنز واستباحه الناس، فحكمة الله تتجلى في حفظ كنز اليتيمين بعد وفاة أبيهم الرجل الصالح، حتى يكبرا ويستخرجانه.

ثم بين الخضر بعد ذلك أنه مأمور بفعل ذلك، فقال: "رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي" (الكهف الآية 82)، أمره الله رحمة منه بأصحاب السفينة، ووالدي الغلام، والغلامين اليتيمين، "ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا" (الكهف الآية 82)، أي تفسير ما لم تصبر حتى أخبرك به.

يستفاد مما سبق: أن موسى بالرغم من أنه أرفع شأنًا من الخضر، إلا أن ذلك لم يمنعه من تتبع أثره، وتلقي المعرفة على يديه، وملتزمًا بقيمة التواضع في طلبها إلا أنه لم يكن صبوراً، وعرف بتسرع في طرح الأسئلة لشغفه في استجلاء حقيقة ما عجز عن فهمه ولم يفقهه.

### هجرة الصحابي أبي ذر الغفاري لطلب العلم

لما سمع أبو ذر الغفاري بمبعث الرسول (ص) أمر أخاه أنيس: بالذهاب إلى مكة لاستطلاع خبر علم الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء، فاسمع من قوله ثم ائتني، فانطلق أنيس حتى قدم مكة وسمع من قول النبي (ص)، ثم رجع إلى أبي ذر، فقال: "رأيتك يأمر بمكارم الأخلاق، وسمعتك يقول كلامًا ما هو بالشعر"، فقال أبو ذر: "ما شفيتني فيما أردت"، فتزود أبو ذر -رضي الله عنه-، وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد والتمس النبي (ص) حتى وقع عليه، وعثر عليه، وأسلم على يديه، وتعلم منه، وتحمل في سبيل ذلك أذى أهل مكة حتى أنهم ضربوه بالحجارة والمدر، ما تركوا حجرة ولا مدرة ولا عظمًا إلا ضربوه لما علموا أنه جاء يسأل عن النبي (ص)، حتى قال: "خررت مغشياً عليّ فارتفعت حين ارتفعت كأني نصب أحمر" من كثرة الدماء التي سالت منه.

انطلق بعدها أبو ذر إلى قومه لدعوتهم إلى الإسلام، امتثالاً لأمر الرسول (ص)، وقد أسلم نصف قومه، وأقام فيهم يقيم معهم شعائر الإسلام، وبقي النصف الآخر على دينه إلى حين هجرة الرسول (ص) إلى يثرب، فأسلموا، وأسلمت بعدهم قبيلة أسلم، ثم صاروا من أتباع دعوة الرسول الكريم (ص)، فدعا لهم النبي محمد فقال: "غفار غفر الله لها، وأسلم سالمها الله". وهاجر أبو ذر تابعا النبي محمد إلى المدينة المنورة بعد غزوتي بدر وأحد. ولازم النبي محمد، وشاركه في غزواته.

وبعد وفاته (ص)، شارك أبو ذر في الفتح الإسلامي للشام، وشهد فتح بيت المقدس، وبعدها أقام في الشام يُفتي الناس، ويُعلمهم أمور دينهم، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولكن أسلوبه فيه حِدَّة. أقام أبو ذر في المدينة يدعو الناس بنفس المنهج الحاد، مما دعا الخليفة عثمان لمعاملته معاملة خاصة متوخيا الحذر. لم يستطع أبو ذر أن يتأقلم مع ذلك الوضع، فاستأذن عثمان للخروج للإقامة في الربدة، فأذن له؛ فخرج إليها. كان أبو ذر حريصاً على التعلم من النبي محمد، فكان يُكثر سؤاله، حتى أصبح أبو ذر يقدم الفتاوي في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، بل وكان علمه يوازي علم ابن مسعود.

ويحظى أبو ذر بمكانة عالية خاصة عند النبي محمد، فيروي أبو الدرداء أن النبي محمد كان يبتدئ أبا ذر إذا حضر، ويتفقده إذا غاب، كما أردفه النبي خلفه يوماً على حماره، وقد

سمع عبد الله بن عمرو بن العاص النبي محمد يقول: "ما أقلت الغبراء، ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر"، ويروي أبو هريرة عن النبي قوله: "من سره أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم، فلينظر إلى أبي ذر." وقال عنه علي بن أبي طالب: "لم يبق أحد لا يبالي في الله لومة لائم، غير أبي ذر"، ثم ضرب بيده على صدره وقال: ولا نفسي.

فالإمام أبي ذر هاجر تاركاً موطنه وراءه غير متردد في ذلك، هاجر في سبيل معرفة حقيقة علم رسول الله ليتأثر بعد ذلك بعلمه ويلزمه ويهاجر معه، وقد لقي مقابل ذلك أذى كثيراً، لم يصرفه عن تحقيق مسعاه، بل زاده قوة في تحقيق طلب المعرفة والتفقه في الدين، خلفاً آثاراً كثيرة، تمثلت في روايته الحديث عن النبي (ص) ومعاوية بن أبي سفيان، وروى عنه انس بن مالك وعبد الله بن عباس وغيرهم، وكتبت عنه كتب منها: أبو ذر الغفاري لإبراهيم المازني وعبد الحميد جودة السحار...

ويهاجر الصحابة رضوان الله عليهم لجمع الحديث؛ لأنه تفرق في البلدان بتفرق الصحابة، هاجروا في طلبه وجمعه من أجل علو السند، وكانوا على رأس الذين يتركون أوطانهم

قاصدين أو طائناً أخرى رغبة في سماع الأحاديث، رغم أنهم عاشوا مع النبي (ص) وسمعوا عنه لكن يطلبون المزيد ويطلبون السماع المباشر<sup>25</sup>.

### هجرة التابعي أحمد بن حنبل لطلب العلم

طلب الإمام أحمد بن حنبل الحديث وهو ابن ست عشرة سنة حيث قال: "سافرت في طلب العلم والسنة إلى الثغور والشامات والسواحل والمغرب والجزائر ومكة والمدينة والحجاز واليمن والعراق وأرض حوران وفارس وخراسان والجبال والأطراف ثم عدت إلى بغداد"، كما هاجر أحمد بن حنبل إلى الكوفة، ولقي ما لقيه من مشقة في هذه الرحلة، بالرغم من قربها من بغداد، ومقامه فيها لم يكن ليناً سهلاً، فقد روي عنه أنه قال: "خرجت إلى الكوفة فكنت في بيت تحت رأسي لينة فحممت، فرجعت إلى أمي ولم أكن استأذنتها"، وقال: "لو كان عندي تسعون درهماً كنت رحلت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، وخرج بعض أصحابنا، ولم يمكّنني الخروج لأنه لم يكن عندي شيء".

لقد توالى هجرات ابن حنبل ليتلقى عن رجال الحديث شفهيًا، ويدون ما يقولون، فسافر إلى البصرة مرات عديدة (يذكر أنها كانت خمس مرات)، كان يقيم فيها أحياناً ستة

<sup>25</sup>. صحيح مسلم، كتاب القدر، رقم 29 و384

أشهر يتلقى عن بعض الشيوخ، وأحياناً دون ذلك وأحياناً أكثر، على حسب مقدار تلقيه من الشيخ الذي رحل إليه .

وهاجر إلى الحجاز وتامة خمس مرات، أولاها سنة 187هـ، ليلتقي في هذه الرحلة بالإمام الشافعي في مكة ، وأخذ مع حديث أبي عيينة، الذي كان مقصده إليه فقه الشافعي وأصوله وبيانه لناسخ القرآن ومنسوخه، والتقى الإمام ابن حنبل بالشافعي بعد ذلك، وكان إذ ذاك ناضجا ومتشربا من علم الشافعي في بغداد، بعد مجيء الشافعي إليها متمكنا ومسلحا بفقهه وأصوله محررة مقررة، حتى كان الشافعي يعول عليه في معرفة صحة الأحاديث أحيانا، ويقول له: "إذا صح عندكم الحديث فأعلمني به، أذهب إليه حجازياً أو شامياً أو عراقياً أو يمنياً". وقد ذكر ابن كثير تفصيل رحلات حجه، كما قال في ذلك ابن حنبل: "حججت خمس حجج، منها ثلاث راجلاً، وأنفقت في إحدى هذه الحجج ثلاثين درهماً، وقد ضللت في بعضها عن الطريق وأنا ماشٍ، فجعلت أقول: يا عباد الله دلوني على الطريق، حتى وقفت على الطريق".

وقرر أحمد بن حنبل أن يذهب إلى الحج سنة 198هـ، وبعد الحج يذهب إلى عبد الرزاق بن همام بصنعاء اليمن، وقد أخبر بقراره رفيقه وصاحبه يحيى بن معين، وقد توافقت رغبتها في ذلك، فدخلتا مكة، وبينما هما يطوفان طواف القدوم إذا عبد الرزاق يطوف، فرآه

ابن معين، وكان يعرفه، فسلم عليه وقال له: «هذا أحمد بن حنبل أخوك»، فقال: «حيّاه الله وثبّته، فإنه يبلغني عنه كلُّ جميل»، قال: «نجيء إليك غداً إن شاء الله حتى نسمع ونكتب»، فلما انصرف قال أحمد معترضاً: «لم أخذت على الشيخ موعداً؟»، قال: «لنسمع منه، قد أربحك الله مسيرة شهر ورجوع شهر والنفقة»، فقال أحمد: «ما كان الله يراني وقد نويت نية أن أفسدها بما تقول، نمضي فنسمع منه»، ثم قصده بعد الحج حتى سمع منه بصنعاء .

سافر ابن حنبل إلى صنعاء، وعانى أثناء مسيره، إذ انقطعت به النفقة في الطريق، فأكرى نفسه من بعض الحمالين، إلى حين وصوله صنعاء، فحاول الشيخ عبد الرزاق إعانتته، فقال له: "يا أبا عبد الله، خذ هذا الشيء فانتفع به، فإن أرضنا ليست بأرض متجر ولا مكسب"، ومد إليه بدنانير، فقال أحمد: "أنا بخير"، ومكث على هذه المشقة مستسهلاً إياها سنتين كاملتين رغبة وشغفا في سماع أحاديث، ما كان قد سمعها من قبل .

وقد استمر أحمد على الرحلة والهجرة في طلب العلم، حتى بعد أن اكتملت رجولته ونضج علمه، وقد استمر جده في طلب الحديث وروايته حتى بعد أن بلغ مبلغ الإمامة، فقد رآه رجل من معاصريه والمحبرة في يده يكتب ويستمع، فقال له: "يا أبا عبد الله، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إمام المسلمين"، فقال: «مع المحبرة إلى المقبرة»، وكان يقول: "أنا أطلب العلم إلى أن أدخل القبر" .

ذكر شمس الدين السفاريني الحنبلي في كتابه (غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب) في قسم حياة الحيوان عن سيدنا الإمام أحمد -رضي الله عنه-، أنه بلغه أن رجلا من وراء النهر معه أحاديث ثلاثية فرحل الإمام أحمد -رضي الله عنه- إليه فوجد شيخا يطعم كلبا فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم اشتغل الشيخ بإطعام الكلب، فوجد الإمام أحمد في نفسه إذ أقبل الشيخ على الكلب ولم يقبل عليه، فلما فرغ الشيخ من طعمة الكلب التفت إلى الإمام أحمد، وقال له: "كأنك وجدت في نفسك إذ أقبلت على الكلب ولم أقبل عليك؟" قال نعم، قال: "حدثني أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من قطع رجاء من ارتجاه قطع الله منه رجاءه يوم القيامة فلم يلج الجنة"، وأرضنا هذه ليست بأرض كلاب، وقد قصدني هذا الكلب فخفت أن أقطع رجاءه" فقال الإمام: "هذا الحديث يكفيني"، ثم عاد من حيث أتى.

بعد أن طلب أحمد بن حنبل الحديث من رجاله، واستمع إليهم وكتب عنهم ما استمع إليه وسمعه منهم، وطوّف في الأماكن الإسلامية يطلب الحديث، جلس للتحديث والفتيا، ويروى إنه لم ينصب نفسه للتحديث والفتوى إلا بعد أن بلغ الأربعين، فقد قال ابن الجوزي: "إلا أن الإمام أحمد -رضي الله عنه- لم يتصدر للتحديث والفتوى، ولم يُنصب نفسه لها حتى تم له أربعون سنة"، وروى أن بعض معاصريه جاء يطلب إليه الحديث سنة 203

ه، وهو لا يتجاوز إذاك 39 عاماً فأبى أن يجدته، فذهب إلى عبد الرزاق بن همام الصنعاني باليمن ثم عاد إلى بغداد سنة 204هـ فوجد أحمد بن حنبل قد حدث واستوى الناس عليه.

وقال ابن الجوزي رحمه الله كذلك: "طاف الإمام أحمد بن حنبل الدنيا مرتين حتى جمع المسند". فقد جمع الإمام أحمد مسنده في مدة أربعين سنة، لم يهدأ له بال ولم يرتح له خاطر حتى أتمه، هاجر إلى كل من مصر والعراق والشام وخراسان والحجاز وصنعاء اليمن، وجمع مسنده حديثاً حديثاً، وبحث في الأسانيد، والعلل والطرق، وها هو مسند الإمام أحمد يملأ الدنيا يستفاد من علمه.<sup>26</sup>

### هجرة الإمام الغزالي لطلب العلم

ولد أبو حامد محمد الغزالي -أحد علماء القرن الخامس الهجري- بمدينة طوس، وعاش بعد وفاة والديه في كنف رجل صوفي؛ صديق والده الذي تكفل بتعليمه تلبية لوصية صديقه، وانتقل إلى نيسابور حيث أخذ العلم على يد شيخه أبي المعالي الجويني، فتعلم

---

<sup>26</sup>. صحيح البخاري، كتاب العلم، البابين: 13 و16

الفلسفة والمنطق والفقه والتصوف وعلم الكلام. وكان متفوقاً على أقرانه حتى قال الجويني: "الغزالي بحر مغدق". وصدق قوله حيث أصبح الغزالي معيداً لأستاذه ونائباً عنه، وقيل إنه ألّف (المنحول)، فرآه أبو المعالي، فقال: "دفتني وأنا حيٌّ، فهلا صبرت الآن، كتابك غطى على كتابي". وقلماً تقلد هذا المنصب الرفيع عالم وهو في هذه السن.

وبعد خروج الغزالي من نيسابور ودع حياة التلمذة، ليلتحق بالتدريس ثم التأليف. درّس الغزالي بالنظامية، وأعجب الخلق حسن كلامه، وكمال فضله، وفصاحة لسانه، ونُكته الدقيقة، وإشاراته اللطيفة، وأحبّوه. قال معاصره عبد الغافر الفارسي: "وعلت حشمته ودرجته في بغداد حتى كانت تفي "المنقذ من الضلال". وبدأ في تأليف الأصول والفقه والكلام والحكمة. وصرف الغزالي همته إلى عقد المناظرات، ووجه جهده إلى محاولة التماس الحقيقة التي اختلفت حولها الفرق الأربعة التي سيطرت على الحياة الفكرية في عصره وهي: "الفلاسفة" الذين يدعون أنهم أهل النظر والمنطق والبرهان، و"المتكلمون" الذين يرون أنهم أهل الرأي والنظر، و"الباطنية" الذين يزعمون أنهم أصحاب التعليم والمخصوصون بالأخذ عن الإمام المعصوم، و"الصوفية" الذين يقولون بأنهم خواص الحضرة الإلهية، وأهل المشاهدة والمكاشفة.

وبعدها عاد إلى موطنه الأصلي وفي الطريق داهمه قطاع الطرق، ناهيين منه ما يملكه من مال وكتب، وأبان الغزالي عن حذقه وتفننه في أساليب الإلحاح في طلب الأمر واستعادة المسروق قائلاً: "أسألك بالذي ترجو السلامة منه أن ترد على تعليقتي فقط، فما هي بشيء تنتفعون به". فقال لي: "وما هي تعليقتك": فقلت: "كُتبت في تلك المخلاة هاجرت لسماعها وكتابتها ومعرفة علمها". فضحك وقال: "كيف تدعي أنك عرفت علمها وقد أخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلا علم؟" ثم أمر بعض أصحابه فسلم إليّ المخلاة، بعد ذلك قرّر الغزالي الاشتغال بهذه التعليقة، والعكوف عليها ثلاث سنوات في موطنه طوس حتى حفظها، وبعدها قرر الهجرة إلى بغداد ليصبح مدرسا في المدرسة النظامية في عهد الدولة العباسية بطلب من الوزير السلجوقي نظام الملك.

وبعد ذلك عاش الغزالي قرابة إحدى عشرة سنة من العزلة والتنقل بين بلاد الشام والقدس ومكة والمدينة المنورة لأداء فريضة الحج، ثم عاد إلى بغداد، بعد أن أَلَّفَ أعظم كتبه "إحياء علوم الدين"، ولم يدم طويلاً حتى أكمل رحلته إلى نيسابور، ومن ثمّ إلى بلده طوس، ثم عاد للتدريس في نظامية نيسابور مكرهاً إياه فخر الدين الملك، فدرّس فيها مدة قليلة، ثم عاد الغزالي مرة أخرى إلى طوس، واستقر فيها أواخر حياته متخذاً بجوار بيته مدرسة خصصت للتدريس والتعبد والتصوف.

وتجدر الإشارة في هذا المقام إلى أن مذهب الشك الذي اتبعه الغزالي ليصل إلى اليقين هو نفسه الذي اتبعه فيما بعد الفيلسوف الفرنسي روني ديكارت (1556-1650م)، وتوصلاً للنتيجة نفسها المتمثلة في ضرورة وجود مسلمة عقلية أولية ليست خاضعة للبرهان، توصل إليها ديكارت بعد شكه بالحسيات والعقليات. وقد بلغ الغزالي في كتابه "تهافت الفلاسفة" أقصى حدود الشك مترعماً بذلك هذا المذهب وسباقاً إليه، ليأتي بعده الفلاسفة الشكيين السائرين على نهجه مثل ديفيد هيوم (1711-1776م).

كما وضع الغزالي نظرية متكاملة في الأخلاق، لم يسبقه أحد من قبله في وضعها، حتى من معاصريه. لقد ترك الغزالي تراثاً ضخماً يجعله في الخالدين، وهو كما قيل: "مزاج من علوم شتى، أنضجها البحث الدقيق، وصقلها التفكير العميق"، وهو لهذا يتمتع بمقام مرموق بين علماء الشرق والغرب، وقد تُرجمَ عديد من كتبه إلى جميع اللغات الحية، ويرى المستشرق الفرنسي (دي بور)، أنه "أعجب شخصية في تاريخ الإسلام".<sup>27</sup>

---

<sup>27</sup>. طواسين الغزالي، عبد الإله بن عرفة.

## خاتمة

من خلال ما سردناه، يتبين لنا كم عاناه علماءنا من مشاق وصعوبات في سبيل العلم والتعلم، فقد كانوا يكثرون من التنقل والهجرات ويجوبون البلدان طولا وعرضا، كانوا يغامرون بحياتهم أمام قطاع الطرق، يقرؤون في الشمس المحرقة، وفي البرد القارس، مع قلة الطعام والشراب، كان معظمهم لا يولي اهتماما للأكل، ولا ينظم مواعيده وإنما ينهمك على الدرس إلى حين شعوره بالجوع ليقتات ما يسد به جوعه ويعود مرة أخرى للاهتيال على دروسه.

وسعت من خلال إلقاء هذه المداخلة المتواضعة التذكير بتلك الأعلام التي بذلت مشاقا عظيما من أجل طلب العلم مخلفة آثارا يستفاد منها، بهدف أخذ العبرة، وثنفي أثرها والسير على نهجها، وبذل جهد من أجل تطوير البحث العلمي؛ بالانكباب على إعداد بحوث علمية، تتوفر فيها الشروط العلمية، وتتصف بالجدة والدقة، وكذلك حث الطلبة الباحثين على العودة إلى آثار هؤلاء العلماء المنسية وكتبهم؛ رغبة في إحياء هذا التراث العربي الرصين، وتجديده عن طريق دراسته، وإجراء بحوث فيه، وكذلك تحقيقه.

## التوصيات

احتضان العقول العلمية المهاجرة ودعمها وإعطائها المكانة التي تستحقها في بلدها الأصلي لأنها تعود رغبة منها في إفادة بلدها، ولكن للأسف بلداننا العربية لا توليها اهتماما ولا تحتضنها للاستفادة من تجاربها العلمية،

مد روابط الاتصال بين العقول المهاجرة وبلدانها الأصلية في إطار تبادل الخبرات والتجارب.

العمل على عقد ملتقيات سنوية تناقش فيها مواضيع في تخصصات مختلفة، يستضاف فيها الباحثون المهاجرون سعيا في تطوير البحث العلمي.

الرقى بالبحث العلمي في البلدان العربية سيرا على نهج الدول المتقدمة بهدف الحد من هجرة الكفاءات، أو العمل على استقطابها واسترجاعها.

## المراجع

### القرآن الكريم

أحاديث مأثورة عن الرسول (ص)

أبو عليان عبد الله يوسف، الهجرة إلى غير بلاد المسلمين، حكمها وآثارها المعاصرة في

الشريعة الإسلامية. رسالة ماجستير

ابن عرفة عبد الإله، طواسين الغزالي، 2018

ابن منظور، معجم لسان العرب، ط. دار المعارف

الاتحاد الإسلامي العالمي، العدد 32، خلق المسلم، دار القرآن الكريم للطباعة والنشر.

صحيح البخاري، كتاب العلم، البابين: 13 و16

صحيح مسلم، كتاب القدر، رقم 29 و384

عبد حمد جاسم، أحكام الهجرة في الشريعة الإسلامية، رسالة ماجستير

عبد الله يوسف أبو عليان، الهجرة إلى غير بلاد المسلمين، حكمها وآثارها المعاصرة في

الشرعية الإسلامية. رسالة ماجستير

معجم المعاني الجامع، 2010

## هجرة الكفاءات والتنمية المستدامة التحديات وفرص الابتكار

د. فاطمة زهرة بن قايد

الرتبة العلمية: أستاذ محاضر

### الملخص:

تعدُّ الكفاءات والخبرات البشرية اليوم ثروة توازي أهمية الثروات الطبيعية، إن لم تكن أهمها، خصوصاً في عالم يرتكز على اقتصاد المعلومات؛ كما هو عالمنا اليوم، عالم الحوسبة الرقمية. لذلك فإن هجرة هذه الكفاءات والخبرات البشرية تعتبر "نزف أدمغة" أو "هجرة أدمغة" للبلد المنشأ و"كسب أدمغة" للبلد المستقطب. ولقد أثبتت هجرة الأدمغة أنها مسهلة للتنمية والمنافسة في الدول المستقطبة، وعائق للتنمية المستدامة في دول المنشأ. وعليه فإنه إذا ما استمرت هذه الهجرة على وتيرتها التصاعدية، فإن دول المنشأ التي هي في معظمها دول نامية، لن تستطيع بلوغ أهدافها في تحقيق التنمية المستدامة أو المنافسة في الأسواق العالمية.

الكلمات المفتاحية: الهجرة، الكفاءات، هجرة الكفاءات، التنمية المستدامة

يعدُّ رأس المال البشري من أهم عناصر التنمية في وقتنا الحالي، وسبب تطور الدول حضارياً وتفوقها تكنولوجياً؛ أنها نجحت في استثمار مواردها البشرية، في الوقت الذي فشلت فيه الموارد الطبيعية في تحقيق ذلك، ويختلف رأس المال البشري عن باقي عناصر الإنتاج، في كونه غير مادي بطبيعته، وبالتالي ليس من السهل قياسه، أو قياس أثره المباشر على الاقتصاد، رغم دوره الكبير في زيادة الإنتاج الاقتصادي من سلع وخدمات.

وتقاس قوة الاقتصاد اليوم بنوعية مواردها البشرية وكفاءتها وحسن استثمارها واستغلالها ولهذا نجد أن تنمية الموارد البشرية أخذت تطفوا على السطح وتستقطب الاهتمام، لأنها وببساطة هي العدة التي يستطيع المجتمع أن يستخدمها في تصحيح مساراته التنموية وتوجيهها التوجيه الأمثل، وإنتاج القدر اللازم من الكفاءات والنوابغ، من أجل معالجة المشاكل والظواهر التي تتخلل مسيرة التنمية، وتقديم الحلول لها، من هنا تتأتى الأهمية التي توليها الدول المتقدمة في استقطاب هذه الكفاءات باعتبارها عاملاً قوياً يضاف إلى عوامل قوة الدول والمجتمعات.

ويعد الحفاظ على هذا المورد من التحديات التي تواجه المجتمعات - خاصة المجتمعات النامية-، كونها عملت على تكوين مواردها البشرية، لكنها لم تحرص في الحفاظ عليها،

ويظهر ذلك من خلال هجرة معظم الكفاءات - إن لم نقل كلها- إلى دول توفر لهم الرعاية والاهتمام، وتوفر لهم كل ما يحتاجونه لحياة أفضل.

وأصبحت ظاهرة هجرة الكفاءات والعقول النابغة، تشكل هاجسا لدى الدول التي أنتجتها وذلك لما خسرتة وستخسره إذا لم تجد الحلول لاسترجاع كفاءاتها، فرغم الدراسات والأبحاث التي قدمت بخصوص موضوع هجرة الكفاءات، إلا أن الأمور بات مخيفا جدا مقارنة مع الدول المستقبلية لها، التي تنعم الآن بالرفاه والتطور العلمي والتفوق الحضاري والتكنولوجي.

من هنا جاءت إشكالية البحث المتمثل في دراسة "هجرة الكفاءات والتنمية المستدامة، التحديات وفرص الابتكار"، التي سنحاول من خلالها الاجابة على التساؤلات التالية:

ماذا نقصد بهجرة الكفاءات وماهي دوافعها؟

ما هي ايجابيات وسلبيات هجرة الكفاءات لدول الأصل والدول المستقطبة؟

ما هي التحديات التي تواجهها دول الأصل عند استنزاف طاقاتها؟

ما هي الحلول الكفيلة بكبح هجرة الكفاءات، وكيف تستفيد دول الأصل منها في حالة عدم

القدرة في استرجاعها؟

أولاً: الهجرة الأكاديمية

أطلق على هجرة الكفاءات عدة تسميات منها: هجرة الأدمغة brain drain، استنزاف الكفاءات، النقل المعاكس للتكنولوجيا the reverse transfer technology ، وأول من ابتدع هذه التسمية هم البريطانيون، للتعبير عن فقدانهم الكثير من المهندسين والعلماء والاطباء؛ بسبب هجرتهم إلى الولايات المتحدة الأمريكية. (الربيع محمد، 1973، ص 11)

يشير مصطلح "هجرة الأدمغة" إلى النقل الدولي للموارد البشرية، وينطبق بشكل أساسي على هجرة الأفراد ذوي التعليم العالي نسبياً من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة، في حين كان يُنظر إلى هجرة الأدمغة منذ فترة طويلة على أنها ضارة بإمكانيات النمو في البلدان الفقيرة، فقد أكدت الأبحاث الاقتصادية الأخيرة، على عدد من التأثيرات الإيجابية المرتدة، وأظهرت أن آفاق الهجرة قد تعزز تكوين رأس المال البشري في الأصل، لذلك فإن التأثير الكلي غير مؤكد من الناحية التجريبية، كما تشير الدراسات الأولى التي تناولت هذه القضية،

إلى تأثير إجمالي سلبي قوي لمعظم البلدان النامية، ومع ذلك، يبدو أن حفنة من البلدان النامية المتوسطة الدخل تحقق مكاسب معتدلة.

(F. Docquier,el,2006,p2)

كما تم تعريف هجرة العقول من قبل الكثيرين، على أنها هجرة الأفراد المهرة داخل البلدان وخارجها؛ بحثاً عن ظروف خدمة وحياة أفضل، وعادة ترتبط الأسباب الرئيسية لهجرة العقول في بلادنا ارتباطاً وثيقاً بالظروف المعيشية الاجتماعية والسياسية الحالية في المنطقة، لكن "هجرة الأدمغة" لم تعد ظاهرة تنطبق فقط على البلدان النامية، بل في بعض البلدان المتقدمة، بدأ الخبراء يشعرون بالتهديد من قبل عدد من العمال من الخارج، لأنهم بحاجة الآن إلى التنافس مع المهاجرين على وظائفهم في الواقع، يجب أن يشعروا بالقلق لأن البلدان المتقدمة تنقل سياسات الهجرة الخاصة بها إلى التوظيف المحدد، والخاص لجذب المزيد من المهنيين الشباب المؤهلين المتعلمين أيضاً، ويذهب الطلاب المتفوقون إلى هذه البلدان المتقدمة للتعلم، ولكن يتم استيعابهم في الثقافة وأسلوب الحياة، وإذا وجدوا وظيفة، لن يعودوا أبداً إلى بلدانهم الأصلية. (V. Dinkovski,el,2018,167)

وتعرفه منظمة الأمم المتحدة للتربية والثقافة والعلوم (اليونيسكو) بأنه نوع شاذ من أنواع التبادل العلمي، غير أنه يتميز بالتدفق باتجاه واحد، من الدول الأكثر تقدماً، نحو الدول الأقل تقدماً وهو ما يطلق عليها البعض النقل المعاكس للتكنولوجيا the reverse transfer technology وهو أيضاً النقل المباشر لأحد عناصر الإنتاج والمتمثل في العنصر البشري. (ف. مانع وآخرون، 2011)

هجرة الأدمغة (Brain Drain): تشير هجرة الأدمغة إلى هجرة الأفراد المتعلمين والأذكياء بغية تحصيل أجور أحسن، وإيجاد أوضاع عمل أفضل، وينظر إليها في العادة على أن لها نتائج سلبية على الدول المرسله، بسبب تركيزها على رصد العمال المهرة واستنزافهم، وهو على العكس من الطرح الذي يؤكد الآثار الإيجابية للهجرة، في تكوين رأس المال البشري، ووفقاً لتقرير صادر عن منظمة اليونسكو، تتميز هجرة الأدمغة بمجموعة من الخصائص الرئيسية، وهي على النحو الآتي (ش. ظريف، 2017، ص 113):

تدفق الأشخاص المهرة والمدربين من البلدان النامية إلى البلدان المتقدمة النمو.

معظم التدفقات يشمل المهندسين والعاملين في المجال الطبي والعلماء.

أصحاب المستوى العالي من المهارة والتكوين أكثر قابلية وميلاً نحو الهجرة.

يجري تحفيز الهجرة من خلال نقص التكوين، وعدم كفايته في النظم التعليمية الوطنية في البلدان النامية المختلفة على حد سواء.

ويُعرف فقدان الموظفين المؤهلين (على مستويات مختلفة) بسبب الهجرة من بلد إلى آخر، باسم "هجرة الأدمغة"، لذا فإنَّ تعريفات هجرة الأدمغة متعددة، وغالباً ما تكون متضاربة فيما يتعلق بأنماط المهاجرين، ويمكن أن يشير هذا المصطلح بالفعل إلى الطبقات العليا، والتي تشمل العلماء والمهنيين ذوي المهارات العالية، والفنيين المتخصصين، وحتى العمال المهرة. (M. Marc RWABAHUNGU, 2007)

ثانياً: دوافع هجرة الكفاءات:

الهجرة والنزوح سمتان بارزتان في المنطقة العربية التي تستضيف ما يقرب من 14 في المائة من أعداد المهاجرين الدوليين (من اللاجئين وغيرهم من المهاجرين الدوليين)، بما فيهم الوافدون من داخل المنطقة ومن خارجها، وقد ازداد حجم المهاجرين بنسبة 150 في المائة في عام 1990، ليرتفع عددهم من أقل من 15 مليون إلى ما يقرب 35 مليون في عام 2015، ويعود السبب في ذلك إلى العديد من الدوافع، نوجزها في النقاط التالية: (غيتا ج. حوراني، 2007)

## 1- دوافع داخلية (الدول المهجورة):

سياسية:

\* القمع والاستبداد السياسي

\* المحسوية في تبوأ المناصب

\* الديكتاتورية والنزاعات

اقتصادية واجتماعية:

\* البحث عن مستوى معيشي أفضل

\* زيادة معدلات البطالة بين حاملي الشهادات الجامعية

\* نقص الانفاق على البحث العلمي

ثقافية وتعليمية:

\* عدم نجاعة النظام التعليمي

\* غياب البيئة العلمية

\* ضعف الروح البحثية في السياسات التعليمية

\* التقارب اللغوي بين الدولتين والروابط التاريخية والثقافية

دوافع مهنية:

\* عدم إمكان تطوير الكفاءات الذاتية، عبر متابعة التعلم أثناء الوظيفة وعبر التدريبات

\* عدم توافر الدرجة المطلوبة من الحرية الفكرية لتطوير الأفكار الجديدة

\* عدم التطابق بين درجات التعلم والتطور المهني وعروض العمل والوظائف المتاحة

\* انعدام التوازن التعليمي وفقدان الارتباط بين التعليم وسوق العمل وخطط التنمية

2 - دوافع خارجية (الدولة المستقطبة):

\* سياسة الهجرة الانتقائية للدول المستقبلية للكفاءات

\* التسهيلات الممنوحة للكفاءات الاجنبية

\* العولمة الصناعية والتكنولوجية والحاجة لرأس مال كفاء

\* التشريعات والقوانين والسياسات المشجعة على الهجرة

تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الحديثة

التنافس العالمي على رأس المال الفكري والبشري في ظل التوجه نحو اقتصاد المعرفة

ثالثا: البيانات الجغرافية الجديدة لهجرة الكفاءات:

أدت عولمة التجارة التي هي في صميم النظم العلمية والتقنية الوطنية، إلى إعادة تعريف الخطوط الفاصلة بين البلدان التي تفوز، وتلك التي تخسر في المنافسة الدولية الجارية، في سوق الكفاءات الدولي. هكذا تظهر اليوم ثلاث مجموعات كبيرة من البلدان، تقسم المكاسب والخسائر (A.M. Gaillard & all, 2015).

الدول الشمالية: أولئك الذين يربحون ويخسرون في نفس الوقت هي بلدان أوروبا الغربية التي تواصل الترحيب بنخب العالم الثالث، فقد شهدت منذ ما يقرب عقد من الزمان تسارع المغادرة في الخارج لبعض مواطنيها الشباب الحاصلين على درجات علمية وتكنولوجية، وبالنسبة لهذه البلدان، فإن التحدي ثلاثي الأبعاد:

تعزيز الحفاظ على النخب المؤهلة تأهيلا عاليا في الأراضي الوطنية من خلال التدابير الاقتصادية والمالية والضريبية.

تنظيم نخبهم المغتربة، في شبكات مراقبة علمية وتكنولوجية من أجل استخدام نقل المعرفة المناسب للمساهمة في تطوير العلوم والتكنولوجيا في بلدان المنشأ.

جذب الأجنب رفيعي المستوى، والاحتفاظ بهم في قطاعات الطلب في سوق العمل.

أولئك الذين يفوزون ولكن ضعفاء: فالولايات المتحدة الأمريكية مثلا، هي التي تخاطر برؤية نظامها العلمي والتقني ضعيفا، على الرغم من أنها لا تزال أقوى مغناطيس على جبهة الهجرة الدولية. وفي الواقع، كان لممارسة الترحيب بالمهاجرين المؤهلين تأهيلا عاليا عواقب مباشرة على تكوين المجتمع العلمي والتقني، الذي لا يستطيع اليوم الاستغناء عن الأجنب الذين يديرون جزءا كبيرا من المختبرات الأمريكية. وفي الوقت نفسه، نلاحظ أن تجديد هذا المجتمع لن يتم داخليا؛ لأن الشباب الأمريكي يتخلى عن الوظائف العلمية والتقنية. يضاف إلى هذه الظاهرة المزدوجة، -الخوف من الاتجاه الذي تم تأكيده الآن- عودة مجموعات معينة من الأجنب المؤهلين تأهيلا عاليا، أو الخريجين الشباب، أو المهنيين المعتمدين القادمين بشكل أساسي من بلدان ذات اقتصادات ناشئة؛ إلى بلدانهم الأصلية

دول الجنوب التي تنتهي بالفوز: وهي البلدان التي تمكنت من عكس تدفقات الهجرة الخاصة بها. وتشمل هذه الفئة الدول الصناعية الجديدة في جنوب شرق آسيا (كوريا الجنوبية

وتايوان وغيرها)، حيث ترتبط أسباب عودة النخب المغتربة، ارتباطاً مباشراً بنشر أنظمة البحث الوطنية، وكذلك بالنمو الاقتصادي الذي تمتعت به هذه البلدان على مدار العقود الثلاثة الماضية. هذان الجانبان المجمعان للتنمية، هما اللذان ساهما في تقليل التفاوتات في مستويات المعيشة بين البلدان المضيفة ودول المصدر، مما مكّن الخريجين الشباب من العودة للاستقرار في بلدتهم والعمل في تخصصهم، دون الخوف من تدهور كبير في ظروفهم المعيشية. وقد ساهمت هذه العائدات بدورها - إلى حد كبير- في التطور السريع لتقنيات المعلومات والاتصالات، وهو قطاع استندت إليه التنمية الاقتصادية والصناعية لهذه البلدان خلال العقود الماضية.

البلدان التي تحسر دائماً: يوجد اليوم عدد كبير من البلدان النامية، حيث الشروط اللازمة لتحقيق التحول، بعيدة كل البعد عن الوفاء بها، والتي لم تتمكن من تطوير نظامها العلمي والتكنولوجي الوطني.

وبالتالي ، فبدون قاعدة كافية من العلوم والتكنولوجيا، لا توجد إمكانية للتبادل بين النخب المؤهلة تأهيلاً عالياً، المنخرطة في البحوث أو الأنشطة المتطورة في الخارج، والمجتمعات العلمية الوطنية غير الموجودة تقريباً بالنسبة لهذه البلدان ، التي هي اليوم على هامش الخريطة العلمية العالمية، ولا يمكن أن يؤدي تطوير الشتات العلمي والتقني، إلى

التعاون أو العوائد من الأشخاص والمعرفة على حد سواء ، لأنهم لا يزالون بعيدين جدا في الحصول على الحد الأدنى من الظروف الاقتصادية والاجتماعية والمهنية، التي من شأنها أن تبدأ في تدفق العائدات. وبالتالي فإن هجرة الطلاب والأشخاص المؤهلين تأهيلا عاليا تظل مصدر هدر يستمر في التأثير على العديد من البلدان الفقيرة.

رابعاً: آثار هجرة الكفاءات:

أثر هجرة الأدمغة على الاستهلاك العام والخاص والإنفاق الاستثماري؛ فقد فرض ضغوطا على قدرة الحكومة على تقديم الخدمات العامة، وأدى استنزاف العقول إلى انخفاض كبير في قاعدة الإيرادات، من خلال انخفاض الدخل وضرائب الشركات. وقد أثر هذا -لا محالة- على تخصيص الحكومة للتعليم والصحة والقانون والنظام، وبالتالي أدت هجرة الأدمغة إلى انخفاض جودة الخدمات العامة، كما انخفض الاستثمار الخاص والإنفاق الاستهلاكي، حيث أخذ بعض المهاجرين مدخراتهم واستثماراتهم أثناء مغادرتهم البلاد، كما اثرت على قطاعات عديدة نذكر منها:

## التأثير العلمي:

بشكل عام تسعى الدول المتقدمة إلى الاستفادة من الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي تواجه الكوادر العلمية في البلدان النامية، من خلال العمل على سحب هذه الكوادر بأساليب مختلفة لصالحهم، ويمتلك هؤلاء الموظفون العلميون مؤهلات وخبرات علمية قوية، لذلك يمكن للبلدان المتقدمة أن تستثمر هذه الكفاءات لصالح تنميتها الاجتماعية والاقتصادية، وفي الوقت نفسه تحرم البلدان النامية من جهود هذه الكوادر العلمية وخبراتهم، أو بمعنى آخر تفرغ الدولة النامية من أرقى كوادرها العلمية. (م.ن. تركي وآخرون، دون سنة ودون صفحة)

## الأثر الاقتصادي:

يشكل الأثر الاقتصادي لهجرة الكفاءات مكسباً مادياً كبيراً للبلدان المتقدمة، حيث تحصل هذه الدول على كوادر علمية جاهزة، لم يتم إنفاق أي نفقات مالية عليها، لذلك فإنه يشكل ربحاً اقتصادياً كبيراً للبلدان المتقدمة. ومن ناحية أخرى فإن هجرة الكوادر العلمية، تشكل خسارة علمية ومادية كبيرة لبلدانهم لا يمكن تعويضها، وهذه البلدان النامية سوف تبقى متخلفة علمياً واقتصادياً مقارنة بالدول المتقدمة. (م.ن. تركي وآخرون، دون سنة ودون صفحة)

## التأثير السياسي:

الكفاءات العلمية في أي بلد، هي النواة السياسية والعلمية الرئيسية، بسبب دورها وموقعها وتأثيرها المباشر على الحياة والأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، وسبب ذلك يرجع إلى الوعي العلمي، والنضج والمعرفة العلمية لهذه الكوادر، وهذا ما تحشاه بعض الأنظمة في البلدان النامية، بما في ذلك الدول العربية. (م.ن. تركي وآخرون، دون سنة ودون صفحة)

خامساً: تحديات هجرة الكفاءات:

تحدد الأبحاث الحديثة حول العمالة ذات المهارات العالية العوامل الرئيسية التالية التي تحرك حركتها الدولية:

ظروف أكثر ملاءمة للتطوير المهني في البلدان المضيفة، ففي بلدان المقصد ، يحصل المهاجرون ذوو المهارات العالية عادةً، على رواتب أعلى من تلك الموجودة في بلدانهم الأصلية. وفجوة الأجور، تتمثل في أن الرواتب في بلدان المقصد المتقدمة، تكون في بعض الأحيان أعلى بعشرين مرة منها في بلدان المنشأ الأقل نمواً، وتسمح البلدان المضيفة بإنتاجية

عمل أعلى ، وذلك بفضل بيئة مؤسسية أفضل، وعوامل خارجية ناشئة عن تكتل عمال المعرفة، مما يعزز أوجه التكامل بين الموهبة ورأس المال والتكنولوجيا.

وعلاوة على ذلك ، توفر دول المقصد فرصاً أفضل للتطوير المهني، من حيث آفاق التقدم الوظيفي، بالإضافة إلى ظروف معيشية أفضل للمهاجرين وأسرهم، والبنية التحتية المتفوقة اللازمة للعمل والحياة اليومية ، والاستقرار السياسي. في معظم الحالات ، توفر البلدان المضيفة ظروفًا أكثر ملاءمة للبحث والتفاعل الأكاديمي للعلماء ، فضلاً عن حقوق ملكية أكثر أماناً لأصحاب المشاريع.

الظروف المعاكسة في البلدان الأصلية (مثل الصراع السياسي والصراع الأهلي وانعدام الأمن)، والتي تعمل كعوامل دفع للهجرة الدولية.

انخفاض تكاليف الهجرة النسبية لذوي المهارات العالية مقارنة بالمهارات المنخفضة ، نظرًا لسهولة الوصول إلى المعلومات عن أسواق العمل في البلد المضيف ، وظروف الهجرة الأكثر ملاءمة ، وإمكانية وصولهم الأكبر إلى وسائل النقل.

سياسات الهجرة الانتقائية لجذب المواهب الأجنبية التي ستتها على وجه الخصوص العديد من البلدان المتقدمة.

الهجرة الدولية انتقائية؛ لأنها تميل نحو الأشخاص المتعلمين تعليماً عالياً، وتنعكس انتقائية الهجرة الدولية أيضاً على معدلات الهجرة المختلفة، أي عدد المهاجرين، كحصة من قطاع القوى العاملة المقابل.

ويبلغ معدل الهجرة في جميع أنحاء العالم ، ( 6.6 ) في المائة، لجميع الحاصلين على تعليم جامعي ، وهو أعلى بكثير من معدل هجرة ذوي المهارات المنخفضة. علاوة على ذلك ، تتباين درجة الانتقائية القائمة على المهارات للهجرة بشكل حاد، وفقاً لمستوى التنمية في البلد المضيف ، وترتفع مع مستوى تطور بلد المقصد للمهاجرين الدوليين.

وفي البلدان المتقدمة ، ( 35 ) في المائة من المهاجرين تلقوا تعليماً جامعياً ، بينما في البلدان النامية الأخرى (أي تلك البلدان النامية التي ليست من أقل البلدان نمواً) تبلغ هذه الحصة ثلث هذا المستوى: 13 في المائة، وعلى النقيض من ذلك ، فإن أربعة في المائة فقط من المهاجرين في أقل البلدان نمواً يتمتعون بمهارات عالية

ريادة الأعمال يمكن للعائدين استخدام قدراتهم في مجال تنظيم المشاريع لإنشاء أعمال تجارية جديدة ، والتي قد تكون في قطاعات أكثر تقدماً من الناحية التكنولوجية، مقارنة بأبناء وطنهم الذين لم يهاجروا، ومن المرجح أن يصبح العائدون رواد أعمال بفضل:

المدخرات المتراكمة أثناء الهجرة.

اكتساب مهارات إضافية في الخارج.

الاتصال بشبكات الأعمال التي تم إنشاؤها أثناء العيش في الخارج، والتي يمكن تعبئتها لأغراض التجارة الخارجية والتسويق والتمويل والوصول إلى التكنولوجيا، إلخ.

تحويل عالمي للموارد يشكل رأسمال بشري، تطال هجرة ذوي الكفاءات العالية من المتعلمين من الدول النامية إلى الدول المتقدمة.

حجم الهدر والتزيف في الكفاءات العلمية التي قد تحتاجها تلك البلدان لاستثمارها على المستوى الوطني، وفقدانها لمردود الملكية من الاختراعات والبراءات التي تدرّ أموالاً طائلة على الدول التي تتم فيها.

ارتفاع نسبة الأطفال والشباب في المشرق العربي سيفرض كثيرا من التحديات في المستقبل، من أهمها ضرورة العمل على توفير فرص عمل، حيث أنه في ظل معدلات البطالة المرتفعة السائدة بين الشباب، من المتوقع أن ترتفع تطلعات السكان نحو الهجرة كأحد الحلول لمشكلة البطالة.

النشء الجديد الذي ينشأ في المهجر، والتي قد تجرده من دينه وقيمه وثقافته وهويته الوطنية.

الهجرة تطال الشباب في الدول النامية، ودول المشرق بشكل أكبر، والذين يعول عليهم ليس في تفعيل الحركة الاقتصادية فحسب، بل في تفعيل الحركة الديموغرافية عبر التزاوج والإنجاب، وهذا الخطر واحد لكن له وجهين: الوجه الأول، في انعدام توافر نسبة الشباب التي تساعد على المنافسة الاقتصادية وتحقيق التنمية المستدامة؛ والوجه الثاني، في انخفاض نسبة الشباب بحيث يصبح الهرم العمري ما دون العشرين، وما فوق الخامسة والستين، مما يؤثر سلباً على تمويل صناديق الطبابة والشيخوخة والتعليم والمساعدات الاجتماعية.

ضعف القدرات الإنتاجية لدول المشأ، وتعثر خططها التنموية، وسوء استغلال الموارد وتدهور البيئة؛ نظراً لقلّة خبرة القوى العاملة البديلة، وانخفاض كفاءتها العاملة والمؤهلة. أغلب التحويلات التي يرسلها المغتربين لذويهم، توجه للاستهلاك وشراء العقارات والأراضي السكنية والزراعية، ما يقلل فرص الاستثمار في القطاعات المنتجة.

توسيع الهوة بين البلدان المتقدمة والنامية، حيث أن هجرة الأدمغة والكفاءات تعطي الدول المتقدمة فوائد كبيرة ذات مردود اقتصادي مباشر، مقابل خسارة صافية للدول النامية التي

هاجر منها أصحاب الخبرات والكفاءات، خصوصاً في ميادين التقنيات والاختراعات والتطور الطبي والكتابة.

سادساً: العلاقة بين هجرة الكفاءات والتنمية المستدامة:

إن العلاقة بين الهجرة والتنمية مترابطة بشكل قوي، وأصبح الحديث عن ضرورة إدماج الهجرة في الجهود التنموية للدول المعنية بهذه الظاهرة؛ يستقبل بترحيب واهتمام من الدول المرسله والدول المستقبلة على حد سواء، وتجدر الإشارة في هذا السياق إلى ثلاثة أنواع من الانتقالات تنطوي عليها الهجرة الدولية، هي: (الأمم المتحدة، 2011)

انتقال العاملين المهاجرين أنفسهم، بما ينطوي عليه ذلك من تغيير في حجم السكان، وحجم قوة العمل، ويمكن لانتقال العمالة أن يخفض معدل البطالة في الدول المرسله، و أن يسد عجزاً في قوة العمل في الدول المستقبلة، ولكن يمكن أن يتسبب في تفتيت شمل العائلات في الوطن الأم من ناحية، وأن يشكل ضغطاً على الخدمات الأساسية والبنية التحتية في الدول المستقبلة، نتيجة للزيادة السكانية التي تترتب عليها من ناحية أخرى.

انتقال الخبرات والمعارف، فحيثما تحرك الأفراد تتحرك معهم الأفكار والمعارف المكتسبة، كما أنهم يكتسبون مهارات وأفكاراً جديدة من الخارج، لذا تنطوي حركة المهاجرين على

حركة ضمنية لرأس المال المعرفي، وبخاصة عند عودة المهاجرين إلى أوطانهم، ولكن قد تؤدي إلى حرمان البلدان المرسلّة من خبرات ومهارات مهمة، ما يؤثر سلباً على قدراتها التنافسية، ويمكن تخفيف هذا الأثر السلبي بإبقاء الروابط مع الوطن الأم، للاستفادة من تلك الخبرات والتقانات المكتسبة.

انتقال الأموال، فتحويلات العاملين في الخارج تلعب دوراً مهماً في حياة بقية أفراد عائلاتهم، كما تؤدي دوراً استثمارياً أحياناً ولكن من ناحية أخرى يمكن أن تفاقم هذه التحويلات معدلات التضخم، وتزيد من الفوارق بين الجهات التي تستفيد منها وتلك التي لا تستفيد منها.

الاقتصاد القائم على المعرفة وهجرة الأدمغة

تعتبر الحركات الدولية للأشخاص المهرة أو المواهب، سمة من سمات الاقتصاد القائم على

المعرفة. ويحتوي الأخير أيضاً على الميزات المحددة التالية ( The Least Developed

:(Countries Report 2012)

إنها تنتج سلعةً وخدمات تعتمد على المعرفة بشكل متزايد، وتتطلب بدورها مدخلات عمالة ماهرة لإنتاجها، وهذا يؤدي إلى زيادة الطلب على المهارات (أو المواهب)، من حيث عدد العمال ومستوى مهارة كل عامل.

يميل رأس المال غير المادي (الناتج عن الاستثمار في التعليم، والتدريب، والبحث والتطوير، والصحة، وما إلى ذلك) إلى أن يصبح أكبر من رأس المال المادي (البنية التحتية المادية، والمعدات والموارد الطبيعية، إلخ).

أصبحت المعرفة -على نحو متزايد- العامل الحاسم المحدد لنمو البلدان على المدى الطويل، والقدرة التنافسية الدولية، وبالنظر إلى هذه التطورات؛ فإن المعرفة جزء من تعريف (الأونكتاد) للقدرة الإنتاجية، وتؤدي دوراً أساسياً في تنمية أقل البلدان نمواً.

تؤدي اقتصادات التكتل النموذجية للأنشطة كثيفة المعرفة، إلى تركيز الأشخاص ذوي المهارات العالية، في عدد قليل من المواقع (على المستوى الوطني)، أو البلدان (على المستوى الدولي).

نادرًا ما يطور الأفراد الموهوبون إمكاناتهم الكاملة من خلال العمل في عزلة.

تتطلب الفكرة الجديدة، أو المنتج الجديد، أو عملية الإنتاج الجديدة، أو النظرية العلمية الجديدة، نفاعلاً وتعاوناً بشرياً.

يحتاج رائد الأعمال إلى الوصول إلى رأس المال والأسواق والتكنولوجيا لتطوير أفكاره ورؤاه الجديدة.

يحتاج العالم إلى عدد معين من الأقران، لمناقشة نظرياته وتقديم أوراق بحثية.

الذين قرروا الهجرة بشكل أساسي يختارون البلدان المتقدمة كوجهة للهجرة

آثار هجرة الأدمغة على التنمية المستدامة:

إذا كان الهدف الأسمى الذي تسعى التنمية المستدامة إلى تحقيقه من خلال آلياتها

ومستلزماتها؛ هو تحقيق حياة أفضل للسكان، وذلك مرتبط بشكل كبير وأساسي، بثلاثة

أبعاد تمثل الأرضية الصلبة، التي تبنى عليها كل الغايات والأهداف والمتمثلة في:

(شيخاوي سنوسي، 2010، ص28)

البعد الاقتصادي والبعد الاجتماعي ثم البعد البيئي (الأيكولوجي)، التي ينبغي أن تكون

مترابطة ومتكاملة.

فالأول هو البعد الاقتصادي، ولا ينبغي أن ينحصر هذا البعد فقط في تحقيق نمو اقتصادي مستديم كما يعتقد البعض، ولكن يتعداه إلى مسائل أخرى لا تخرج عن الحلقة الاقتصادية المتمثلة في كفاية رأس المال، وإشباع الحاجات الأساسية.

البعد الاجتماعي: حيث تسعى التنمية المستدامة في بعدها الاجتماعي؛ إلى تحقيق المساواة في التوزيع بين أفراد المجتمع؛ من أجل خلق حراك اجتماعي مبني على المشاركة الشعبية في إطار التنوع الثقافي وكذا استدامة المؤسسات في المجتمع.

البعد البيئي: تسعى التنمية المستدامة إلى تنمية العلاقة الحساسة بين البيئة الطبيعية وحاجات البيئة المجتمعية؛ لتصبح علاقة تكامل وانسجام، عن طريق ضمان التنوع البيولوجي والحفاظ على النظم الايكولوجية، والاستعمال العقلاني للطاقة من أجل ضمان حق الأجيال القادمة في بيئة ملائمة للحياة البشرية.

التكاليف الاقتصادية لهجرة الأدمغة: إن المشكلة الاقتصادية الرئيسة التي تطرحها هجرة الأدمغة، هي خسارة هذه البلدان لأفرادها المؤهلين، وخروج الأفراد المهرة، وهذا له عدة آثار اقتصادية سلبية، وهناك التأثيرات المباشرة التي هي أسهل التأثيرات المرئية والقابلة للقياس: (A. ABDI MAHAMOUD, 2017, p9-15)

رأس المال البشري: أول تأثير مباشر لرحيل الأفراد المهرة؛ هو انخفاض رأس المال البشري على المستوى الوطني، لأن الأفراد المهرة هم أصحاب أعلى رأس مال بشري، حيث يغطي رأس المال البشري - كما حدده منظمة التعاون والتنمية - في الميدان الاقتصادي المعارف، والمهارات، والكفاءات، والصفات، الأخرى للفرد التي تعزز الرفاه الشخصي والاجتماعي والاقتصادي.

ويطرح انخفاض رأس المال البشري عدة مشاكل، أهمها انخفاض إنتاجية العمل في الصناعات التي تعمل في البلدان المصدرة للكفاءات، ثم يتناقص الابتكار في البلدان المتأثرة بهجرة الأدمغة منذ المغادرة.

انخفاض الدخل: عادة ما يحصل الأفراد المؤهلون على أعلى مستوى من الدخل، وبالتالي فإن مغادرتهم تعني خسارة دخلهم ونفقاتهم داخل البلدان المصدرة للكفاءات، ومع ذلك فإننا نعلم أن الإيرادات مهمة للنمو الاقتصادي، ولو اقتصر أمرها على الضرائب الحكومية التي يمكن أن تمول المشاريع العامة، وبهذه الطريقة تتفاقم هذه الخسارة في الإيرادات الضريبية بشكل أكبر عندما تمول الدولة جزئياً أو كلياً.

نقص العمالة في القطاعات الرئيسية: يمكن أن تؤدي هجرة الأدمغة أيضًا إلى نقص في الحرف، وهي ركائز التنمية الاقتصادية للبلد، على سبيل المثال، يمكن أن تتسبب هجرة الأدمغة في نقص الأطباء في بلد ما، ومع ذلك فإن الطب هو أحد المهن التي تؤثر بشدة على إنتاجية العمال الآخرين، وبالتالي فإن النقص في الأطباء سيؤثر سلباً على الإنتاجية في أي بلد.

وهناك نوع آخر من النقص المهني، يمكن أن يكون له تداعيات سلبية على التنمية، ويمكن أن يظهر بعد هجرة الأدمغة؛ وهو النقص في العاملين المسؤولين عن تراكم رأس المال البشري كالمعلمين مثلاً.

فقدان العوامل الخارجية الديناميكية، والعوامل الخارجية الثابتة للسوق: تولد الخيارات الاقتصادية للنخب، ثلاثة أنواع من العوامل الخارجية التي تنتجها:

أولاً: هناك العوامل الخارجية الديناميكية، التي تؤسس علاقة إيجابية بين وجود النخب ومكاسب الإنتاجية، بالإضافة إلى التقدم التقني، وفي الواقع، كلما زاد تأهيل العمال زادت كفاءاتهم بشكل ملموس، فتزداد إنتاجية الشخص، ويقل زمنها، وعلاوة على ذلك، يعمل رأس المال البشري للعمال المؤهلين بشكل إيجابي بالنسبة لأقرانهم الأقل كفاءة، ويتم توزيع

إنتاجيتهم العالية على زملائهم ؛ مما يولد وفورات الحجم في مختلف قطاعات النشاطات،  
ويسمح بتحقيق مكاسب إضافية.

ثانياً: يمكن أن يؤدي وجود عمال ذي تعليم عالٍ في اقتصاد ما؛ إلى تحفيز البحث والتطوير  
ويمكن ترجمة التقدم التقني الناتج عن ذلك، إلى ابتكارات تعمل على تحسين أساليب الإنتاج  
وأدواته، وتوليد فوائد جديدة، تؤدي إلى مكاسب إضافية في وفورات الحجم والتقدم التقني  
عند جميع العمال.

التكاليف الاجتماعية المرتبطة بهجرة الأدمغة: إن هجرة العمال المهرة لها أيضاً عدد من  
التكاليف الاجتماعية للبلدان المنبعثة منها، وهي في الأساس خسارة العوامل الخارجية غير  
السوقية، والمنتج الاجتماعي والآثار المفيدة للنخب على التنمية.

فقدان العوامل الخارجية الثابتة غير السوقية: هناك أيضاً فوائد اجتماعية لوجود النخب،  
تعود على نوعية الحياة في المجتمع، تتمثل في العوامل الخارجية التي تبدو بدهية بالنسبة لنا،  
على سبيل المثال سوف نرى زيادة في المسؤولية المدنية، وانخفاضاً في الجريمة وتحسين نوعية  
البيئة، وتحسين الصحة العامة.

هذه هي العوامل الخارجية الثابتة غير السوقية، وبالتالي فإن هجرة الأفراد المؤهلين ستؤدي إلى فقدان هذه العوامل الخارجية الإيجابية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلدان الباعثة.

المنتج الاجتماعي: المنتج الاجتماعي لرأس المال البشري للأفراد المهرة، يكون في كثير من الحالات، أكبر من ناتجهم الاقتصادي؛ خذ على سبيل المثال حالة أستاذ جامعي، سيقاس ناتجها الاقتصادي بعدد الطلاب الذين يتخرجون بعد أخذ دوراته، أو بعدد المقالات أو الكتب التي سينتجها، فهجرتة من وجهة نظر اقتصادية بحثة، لن تؤدي إلا إلى ضياع الكثير من الكتب، أو الكثير من الخريجين، لكن الخسارة الكبرى التي سيحدثها هذا الأستاذ لبلده، هي الخسارة الناتجة عن قلة المعرفة التي أحدثها رحيله، فالمعرفة كان من الممكن أن تحسن مستوى المهنيين العاملين في الدولة، وكان من الممكن أن تؤدي إلى تقدم تكنولوجي كبير.

وينطبق المنطق نفسه على الأطباء ففي الواقع يتم تقدير منتجهم الاقتصادي بناءً على عدد المرضى الذين يعالجونهم، ومع ذلك فإن منتجهم الاجتماعي لا يقدر بثمن، فعلى سبيل المثال كل الممارسات الصحية الجيدة يمكن أن ينشروها في المجتمع، ويمكن أن تزيد بشكل كبير من الصحة العامة للسكان، وبالتالي؛ فإن هجرة النخب لها أيضًا تكاليف من الناحية الاجتماعية يجب أخذها بعين الاعتبار عند تقييم آثار رحيلهم.

الكفاءات المؤهلة والتقدم المؤسسي: المؤسسات مهمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلد، على سبيل المثال حقوق الملكية التي هي جزء من المؤسسات الاقتصادية، هي الضامن للاستثمار في بلد ما، فبسبب حالة عدم اليقين التي قد تنجم عن الفشل في إنفاذ حقوق الملكية في بلد ما؛ سيكون لدى رواد الأعمال حافز أقل للاستثمار في الدولة. ومثال آخر يتعلق بالمؤسسة التي هي السوق، عندما لا يكون السوق موجوداً أو يتم تجاهله؛ فإن المكاسب الناتجة عن التجارة غير مستغلة، ويتم تقاسم الموارد بشكل سيئ، كما كان الحال في الاتحاد السوفيتي على سبيل المثال، وبالتالي فإن الحفاظ على المؤسسات وتحسينها أمر مهم للتنمية الاقتصادية للبلدان، ورأس المال البشري هو أحد العوامل الأساسية في نمو المؤسسات.

سابعاً: الوسائل البديلة لهجرة الكفاءات:

دعا بعض أصحاب المصلحة -بما في ذلك القطاع الخاص- إلى اتباع نهج أكثر ليبرالية في التعامل مع هجرة العمالة الدولية، وهو نهج من شأنه أن يمكّن العمال من الانتقال بحرية أكبر من المناطق الأفقر إلى المناطق الأكثر ثراءً في العالم، وقد أشير إلى أن مثل هذا النهج من شأنه أن يعود بفوائد جمة على البلدان النامية، في شكل زيادة التحويلات، واستثمارات المغتربين، ونقل المعرفة، وفي الوقت نفسه؛ من شأنه أن يساعد الدول الصناعية على مواجهة التحديات الاقتصادية

والاجتماعية، التي تطرحها شيخوخة السكان وتناقص أعدادهم، وبالتالي خلق  
حالة "الفوز".

وهناك عدد من الأسباب التي تجعل هذا النهج غير مقبول لجميع  
الدول (REPORT OF THE GLOBAL COMMISSION ON

INTERNATIONAL MIGRATION, p16).

أولاً: إذا تم في وقت ما أو على أساس قصير الأجل، فلن يشكل استيراد العمالة حلاً فعالاً  
للتحدي الديموغرافي الذي يواجه العديد من الدول، لأن العمال المهاجرين في نهاية المطاف  
يتقدمون في السن، ويصبحون غير نشطين اقتصادياً، وسيكون التوظيف المستمر للعمالة  
المهاجرة مطلوباً لتجنب مثل هذا السيناريو.

ثانياً: يوجد في العديد من البلدان التي تشهد شيخوخاً، وتناقص أعداد كبيرة من الناس،  
(ليس أقلهم من المهاجرين الحاليين والأقليات) الذين ظلوا عاطلين عن العمل لفترات  
طويلة، فضلاً عن العديد من النساء اللواتي انسحبن، أو اللواتي لم يشاركن في سوق العمل  
لأسباب مختلفة.

وتمثل زيادة مشاركة القوة العاملة لهؤلاء الأشخاص؛ سياسة بديلة أو تكميلية لزيادة الهجرة، مع إدخال تدابير أخرى مثل: التقاعد اللاحق، والمعاشات المنخفضة، وإدخال تكنولوجيا توفير العمالة.

ثالثاً: لن تسترشد سياسات الهجرة بقوانين الاقتصاد أو الديموغرافيا فقط، فلا تزال العديد من الدول والمجتمعات غير مرتاحة لمفهوم الهجرة الواسعة النطاق والمستمرة، خاصة إذا كان للوافدين الجدد، خلفية عرقية أو ثقافية أو دينية مختلفة عن غالبية المواطنين، ولن يتم تشجيع هجرة اليد العاملة على نطاق واسع من قبل الحكومات؛ إذا كان ينظر إليها على أنها تهديد للتماسك الاجتماعي أو النجاح الانتخابي.

أخيراً: لبّت بعض الدول الصناعية جزءاً من حاجتها إلى العمالة الإضافية، (لا سيما العمالة الرخيصة والمرنة التي يمكن توظيفها لتولي أعمال يتجنبها المواطنون) عن طريق غض الطرف عن توظيف المهاجرين في حالة غير نظامية.

وتهدف السياسات التي تم وضعها في الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي، إلى إعادة الإدماج المنهجي للمواطنين المدربين في الخارج، وأصبحت البلدان الناشئة في جنوب شرق آسيا نماذج من هذا النوع، وقد قامت منظمتان دوليتان بتمويل مشاريع للمساعدة في عودة

المهاجرين المهرة إلى بلدانهم الأصلية، على مدار العشرين عامًا الماضية: (المنظمة الدولية للهجرة) وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي من خلال برنامج) TOKTEN (نقل المعرفة من خلال الرعايا المغتربين).

كما وضعت دول أخرى في أمريكا اللاتينية، مثل: المكسيك والأرجنتين والبرازيل (من بين دول أخرى) برامج وسياسات لتشجيع العودة، لكن كوريا الجنوبية وتايوان - بلا شك- هما اللتان طورتا أكثر سياسات الإعادة إلى الوطن نشاطا.

استعادة شبكات المعرفة: باتباع إحدى وظائف المغتربين التقليديين، الذين ساهموا من خلال أنشطتهم التقليدية في تنمية بلدانهم الأصلية، تطورت فكرة تنظيم المغتربين المؤهلين تأهيلا عاليا في شبكات وطنية، بناءً على فكرة: "أن أي مواطن مغترب رفيع المستوى يمكنه المساهمة أينما كان في تنمية بلده الأصلي"، وتسعى هذه الشبكات إلى نقل المهارات والتقنيات، بدلاً من عودة الرجال، والأفضل من ذلك، أن فكرة الشبكة، تقوم على حقيقة أن وجود هؤلاء المواطنين في الخارج مفيد في حد ذاته؛ لأنه يجب أن يعمل على وضع الأسس لشبكة مراقبة المعلومات العلمية والتقنية، من ناحية، ومن ناحية أخرى، يسهم في تدويل المجتمعات العلمية، والتقنية الوطنية، ويعززها من خلال إعادة ربط النخب حول المصالح المشتركة مع المؤسسات الوطنية والزملاء من بلدان الأصل (A.M. Gaillard & all, 2015)

ومن الضروري حقاً، للجامعات في الشمال، التي ترغب في تقديم دورات "مخصصة" للطلاب الأجانب أن تعرف احتياجاتهم الخاصة، حيث تتضاعف التبادلات بهذه الطريقة، وتصبح المؤسسات في الجنوب شريكة، وبالتالي يمكن توجيه التدفقات وفقاً للاحتياجات المحددة لنقل التكنولوجيا. ونتيجة لذلك نشهد تجديداً لسياسات التعاون بين الشمال والجنوب، ويمكن أن تساهم على نطاق أوسع في تطوير المؤسسات في الجنوب، وعودة النخب المدربة في الخارج، وبالتالي يعمل عدد كبير من المؤسسات الجامعية على تعزيز التبادلات الدولية، وتطوير برامج التبادل التي لا تفيد الطلاب فحسب، بل تعزز وتشجع السعي وراء التعاون والعلاقات بين أعضاء هيئة التدريس.

ويعد التدريب على العمل والدراسة، أحد أكثر النماذج شيوعاً بين مؤسسات المساعدة في الشمال وبين شركائها في الجنوب، الذي غالباً ما يجمع جزءاً من التدريب النظري في الخارج مع العمل الميداني في الوطن، ويتيح هذا النموذج تصحيح عدد معين من العيوب الخاصة بإكمال التدريب في الخارج. (A.M. Gaillard & all, 2015)

واستناداً إلى القوى الكامنة التي تدفع تدفقات الهجرة الدولية الحالية، ومنع حدوث اضطرابات كبيرة في الاقتصاد الدولي، من المرجح أن يستمر التنقل الدولي للأشخاص ذوي

المهارات العالية في المستقبل ، إلى حد كبير نتيجة للاتجاهات التالية: ( The Least

: (Developed Countries Report 2012)

كثافة المعرفة المتزايدة للاقتصاد العالمي .

انخفاض النمو الديموغرافي، وما يترتب على ذلك من شيخوخة سكان العالم ، فضلاً عن

زيادة الطلب على الخدمات الصحية التي ترافق التنمية .

انخفاض تكاليف النقل والاتصالات بشكل مطرد.

الترابط الاقتصادي الناجم عن العولمة.

فجوات الدخل المستمرة بين المهنيين في البلدان المتقدمة والبلدان النامية.

وطالبت الدراسة بوضع استراتيجية عربية متكاملة، للتصدي لمشكلة هجرة الكفاءات،

وينبغي أن تشارك في وضعها كل من جامعة الدول العربية، ومنظمة العمل العربية،

والمجلس الاقتصادي والاجتماعي العربي، والمنظمات العربية غير الحكومية المهتمة بهذا

الموضوع، مع الاستفادة من خبرات منظمة اليونيسكو، ومنظمة العمل الدولية التي تملك

خبرات ودراسات جادة حول هذه المشكلة وتتمثل هذه الاستراتيجية في

(<https://arb.majalla.com/node/>):

زيادة ميزانية البحث العلمي في كل دولة عربية، وإنشاء مراكز للبحوث التنموية والعلمية، بما يوفر المناخ المناسب للكفاءات، وأصحاب المواهب للعمل في هذه الدول، والإنتاج العلمي والإبداع بدلاً من الهجرة.

احترام الحريات الأكاديمية وصيانتها، وذلك بإعطاء أعضاء الهيئات الأكاديمية والعلمية حرية الوصول إلى مختلف علوم المعرفة والتطورات العلمية وتبادل المعلومات والأفكار والدراسات والبحوث، وفي استعمال مختلف وسائل التطور الحديثة دون تعقيد أو حواجز.

إعادة النظر جذرياً في سلم الأجور والرواتب التي تمنح للكفاءات العلمية العربية، وتقديم حوافز مادية ترتبط بالبحث والإنتاج، ورفع الحدود العليا للأجور؛ لمكافأة البارزين من ذوي الكفاءات، وتقديم الحوافز التشجيعية والتسهيلات الضريبية والجمركية، للوفاء بالاحتياجات الأساسية، وتقديم الخدمات اللازمة لقيامهم بأعمالهم.

بناء شراكة مع العقول العربية المهاجرة، فالعلماء العرب اليوم يوجدون في أعرق المراكز العلمية والجامعية والبحثية والصناعية، ويطلعون ويطورون كثيرًا منها، لذلك فإن بإمكانهم

عند تقديم دعوة صادقة لهم للمشاركة من مواقعهم في بعض البرامج القائمة في مراكز البحث والجامعات العربية؛ أن يكونوا خير عون إذا أحسن الاختيار، وصدقت النوايا من الجانبين.

حثّ الحكومات العربية على تكوين الجمعيات والروابط لاستيعاب أصحاب الكفاءات المهاجرة من بلدانهم، وإزالة جميع العوائق التي تعيق ربطهم بأوطانهم، ومنحهم الحوافز المادية وتسهيل إجراءات عودتهم إلى أوطانهم للمشاركة في عملية التنمية والتحديث.

التعاون مع المنظمات الدولية المعنية مثل اليونسكو لإقامة مشروعات ومراكز علمية في البلدان العربية لاجتذاب العقول العربية المهاجرة للإشراف على هذه المراكز والإسهام المباشر في أعمالها وأنشطتها، وتقديم مزيد من المساعدات المالية لتوفير فرص عمل للشباب العربي، بما يساعد على الحد من الهجرة غير الشرعية إلى دول أوروبا.

مراجعة سياسات التشغيل في الدول العربية والعمل على إعطاء الأولوية في التشغيل لأبناء الوطن أولاً، ثم أبناء الدول العربية ثانياً، ثم للعمالة الأجنبية ثالثاً، طبقاً للاتفاقيات العربية في هذا الشأن.

الإسهام في دعم مكاتب العمل والتشغيل وتنشيطها، بما يمكنها من حصر فرص العمل في مختلف القطاعات، وإرشادها للشباب النابغين والباحثين عن العمل إلى تلك الفرص، وتوفير متطلبات قيامها بدراسة اتجاهات سوق العمل واحتياجاتها في المستقبل.

مراجعة نظم التعليم والتدريب للوقوف على مدى ملاءمتها مع احتياجات سوق العمل ومستلزماتها المتطورة من المهن والمهارات، وتنويع مؤسسات التعليم مع تنويع المهارات التكنولوجية المطلوبة في مجالات الإنتاج المختلفة.

العمل على جذب المزيد من الاستثمارات الأجنبية في الدول العربية؛ لخلق سوق عمل يستوعب الكفاءات في الداخل.

أن تعمل وسائل الإعلام على زيادة نشر الوعي بخطورة ظاهرة هجرة العقول البشرية، من خلال توضيح الآثار السلبية التي تترتب عليها، وحث المسؤولين بالدول على مواجهتها.

ثامنا: النتائج والمقترحات:

تزايد جهود الدول في الاهتمام بظاهرة هجرة الكفاءات يوماً بعد يوم، حيث يمثل الحوار الذي عقدته الجمعية العامة للأمم المتحدة لسنوات عديدة، دليلاً عملياً، ناهيك عن المنتديات واللقاءات الدولية والإقليمية التي تقام في هذا الشأن، وكان موضوع دراستنا

كمقترح وتصور جديد، من الممكن أن يساهم في حلّ جزء من إشكالية هجرة الكفاءات العلمية، وعليه نقترح جملة من التوصيات لحشد الجهود، والمحافظة على الكفاءات العلمية في جميع التخصصات:

تأمين بيئة مهنية وعلمية مشجعة على الابتكار، وبلورة آليات تجعل من هجرة الكفاءات ثروة مشتركة بين البلدين.

إعطاء الكفاءات المهاجرة فرصة لإبراز مهاراتهم وقدراتهم عند عودتهم لأوطانهم، بدل تهميشهم في مناصب إدارية تكبح تلك المهارات .

إدارة الهجرة من خلال زيادة مخصصات البحث العلمي، وشركاء لها في المسائل الوطنية والتنمية والاقتصادية، واعطائها مكانة ضمن الخيارات الاستراتيجية للدول الأصلية، مع زيادة نسبة الانفاق الحكومي على البحث والتطوير العلمي.

إبرام اتفاقيات دولية؛ للتمكين من استفادة الدول النامية من نتائج البحث العلمي التي تتوصل إليها الدول التكنولوجية المتقدمة، والاستفادة من التقدم العلمي الذي وصلوا إليه.

سن القوانين والتشريعات التي تحمي المغتربين عند العودة لأوطانهم مع اعطائهم إمكانية

إدارة القطاعات الحساسة والمهمة

الاهتمام بالتفرغ العلمي والبحث العلمي المفيد، بإغناء المكتبات بالمراجع وتحديثها.

العمل على تحقيق الاستقرار السياسي، والفكري، والاجتماعي، وتحسين الأوضاع المادية

لعمال القطاعات المهمة، كالتعليم، والصحة، والبحث العلمي، وإعادة النظر في سلم

الرواتب والأجور، وتقديم حوافز مادية ومعنوية ترتبط بالانتاج العلمي

إعادة النظر في سلم الوظائف، بشرط الكفاءة التي لا بد ان توضع لها معايير علمية دقيقة.

### الهوامش:

المراجع باللغة العربية:

الربيع محمد، هجرة الكفاءات العلمية، الكويت: جامعة الكويت، 1973، ص 11.

شاكر ظريف، هجرة الكفاءات الجزائرية الى الخارج (1991-2010) دراسة في

الانعكاسات والأسباب، مجلة عمران، العدد 21/06، 2017، ص 113.

شيخاوي سنوسي، هجرة الكفاءات الوطنية وإشكالية التنمية في المغرب العربي: دراسة

حالة الجزائر 1999-2010، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم

السياسية، تخصص دراسات أوروبومتوسطية، جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان، كلية الحقوق  
و العلوم السياسية، قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، 2010، ص28.

عدنان فرحان الجوراني هجرة الكفاءات وأثرها على التنمية الاقتصادية- الحوار المتمدن،

العدد: 3389 - 7 / 6 / 2011 - 19:18

غيتا ج. حوراني إدارة الثروة البشرية كمنطلق لكبح هجرة الأدمغة والكفاءات في لبنان

العدد 62 - تشرين الأول 2007

<https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=262278>

فاطمة مانع، خبازي فاطمة زهرة، هجرة الكفاءات العلمية وآثارها على التنمية الاقتصادية

في الدول النامية، ملتقى دولي حول رأس المال الفكري في منظمات الأعمال العربية في

الاقتصاديات الحديثة، يومي 13/14 ديسمبر 2011

مفيد نايف تركي وآخرون، اثر التشريعات على هجرة الكفاءات العراق نموذجاً، مقدمة الى

المركز العربي للبحوث والقانونية والقضائية، بيروت-لبنان.

المراجع باللغة الأجنبية:

A. ABDI MAHAMOUD, La migration internationale des citoyens qualifiés :  
La problématique de la fuite des cerveaux Superviseur : Pr. Patrick

GEORGES, École Supérieure d'Affaires Publiques et Internationales ,  
19/07/2017

A.M. Gaillard & all, 2015 Fuite des cerveaux, circulation des compétences et développement : un enjeu, Politique, All content following this page was uploaded by Jacques Gaillard on 05 October 2015.  
<https://www.researchgate.net/publication/282170741>

Frédéric Docquier and Hillel Rapoport, THE BRAIN DRAIN, A new entry for the New Palgrave Dictionary of Economics (second edition), University College London, October 2006, p2.

M. Marc RWABAHUNGU, 2007), LA FUITE DES CERVEAUX : UN FACTEUR IMPORTANT DU SOUS-DÉVELOPPEMENT, Association des secrétaires généraux de Parlement, UNION INTERPARLEMENTAIRE, INTER-PARLIAMENTARY UNION, Session de Nusa Dua, Avril/mai 2007.

Migration in an interconnected world: New directions for action, (REPORT OF THE GLOBAL COMMISSION ON INTERNATIONAL MIGRATION, The Global Commission on International Migration, OCTOBER 2005, p16

The Least Developed Countries Report 2012, Mobilizing the Diaspora From Brain Drain to Brain Gain, chapter04, Harnessing Remittances and Diaspora Knowledge to Build Productive Capacities, UNCTAD/LDC/2012, p87, p90.

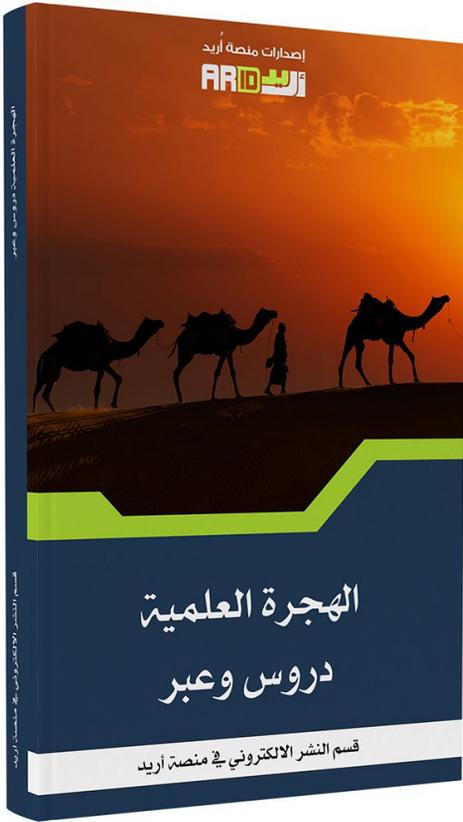
Vladimir Dinkovski, Silvana Markovska-Simoska, Brain drain as a function of sustainable development in the Republic of Macedonia, Industrija, Vol.46, No.1, 2018, p176.

مواقع الانترنت:

<https://arb.majalla.com/node/>

# الهجرة العلمية دروس وعبر

قسم النشر الالكتروني في منصة أريد



اختلفت أسباب الهجرات وغاياتها على مدى التاريخ، ونوع المجتمعات، والدُّول، وتعدُّ الهجرة نهجاً مُتَّبِعاً للأنبياء والرسل -عليهم السلام- في سبيل نشر الدعوة إلى الله تعالى، وحمایتها من كيد الظالمين وبطشهم، وكانت هجرة النبيِّ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، قبل 1442 سنة، خير هجرة عرفتْها البشرية منذ بدء الخلق.

إصدارات منصة أريد

ARID